

الباب الأول

الكون والتوحيد في آيات القرآن

-
- | | |
|-----------------------------------|---------------------------|
| ١. الكون. | ٢. الكون والقرآن والسنة. |
| ٣. القرآن كتاب علم وخبرة وحكمة. | ٤. علم الله في القرآن. |
| ٥. سنة رسول الله هداية. | ٦. من خلق السموات والأرض. |
| ٧. من خالق الإنسان وهاديه ورازقه؟ | ٨. إعجاز خلق الانسان. |
| ٩. لا إله إلا هو. | |
-

- شملت جلسة مُدارستنا العائلية الثالثة أسرتنا وشيخ أزهرى مبرز وتدارسنا العلاقة بين الكون والتوحيد فى آيات القرآن.. مهّدك للشيخ عن القلق الذى ساد الجلستين السابقتين، ولخصّص له مدار فيهما من أسئلة وإجابات.. وكنت قد حكيت له (منفرداً) عن عاصفتنا النقاشية فى سابق الجلستين.. ذلك كله بقصد البُعد عن التجهيل.. ولعل الشيخ يعيش الواقع الفكرى لحضور الجلسة.. فى محاولة وصل الاجيال.. وتبسيط المعارف والثقافات.. حصولاً فى النهاية على أكبر فائدة من المُدارسة.

قال الشيخ: جئكم زائراً مهتئاً على موضوعية الجلستين السابقتين.. وأرجو أن أكون مع أسرتكم مستمعاً شاهداً لميلاد تجربة جديدة.. أدعو الله لها بالخير والنجاح!!

- سأل ولدى الكبير: ما المقصود بالكون؟؟ وما علاقته بآيات القرآن؟؟
- أجبت: يا ولدى! مفهوم الكون هو كل ما خلق الله من شيء.. جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وسموات، وأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن فيهما.. والمُستعرض للكونيات فى القرآن يجد أنها تشغل نسبة كبيرة جداً من آياته - بحسب أنه كتاب مُنزل من علام الغيوب.. كتاب خبرة وحكمة.. مُنزل من الله سبحانه وتعالى.. على قلب رسوله الكريم، الذى بلغ ما أوحى به إليه.. فالقرآن والسنة يا ولدى! هما كتالوج الكون الجمادى وحياته المادية والاجتماعية والروحية.. وهما المرجعية المطلقة عند المسلمين.. أما العلم البشرى يا ولدى! فمبنى على فرضيات تخمينية.. ولا يكتسب العلم حجية إلا بما يتفق ومرجعيات القرآن والسنة.

ورحم الله الإمام مالك حيث قال: (لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو فى الكتاب والسنة)!

ويقول تعالى: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شيء﴾
القرآن كتاب سماوى منزل من عند الله تعالى.. يمزج بين الكون ومظاهر الحياة وبين الحقائق الكونية الثابتة.. فالقرآن يؤسس علوم: التوحيد، والعقيدة، والتربية، والاخلاق، وكل علوم الحياة.. فى بناء شامل متماسك متلائم مع فطرة كل انسان أياً كان مستواه الفكرى.
ويسمو هذا الفكر البشرى كلما ارتاد آفاق الكون.. وكشف آياته، وتعرف على

سنن الله فى الكون وقوانينه - فى الاطار القرآنى ..
 فالحضارة الغربية احترمت الكون .. مع أن إحترام الكون أصل من أصول
 التكليف الإسلامية .. فكان للغربيين التقدم العلمى المادى المعاصر ..
 وأن الاوان يا ولدى! أن نأخذ الدراسات الحياتية الكونية التجريبية طريقاً
 للتقدم العلمى، والتنمية .. طريقاً لخدمة وإعمار المجتمعات الإسلامية ..
 فى ذات الوقت يا ولدى! يجب علينا أن نأخذ القرآن بكليته إستنهاضاً للخلق
 القرآنى ومكارمه .. وصولاً إلى استصلاح الإنسان، الذى جرفته المادة وحضارتها
 الخادعة ..

ولنستعرض يا ولدى! ما جاء فى وصف القرآن فى القرآن، وكذا ما جاء حول
 السنة النبوية فى القرآن، وخلق الله للكون، وما فيه، ومن فيه .. وأخيراً نخرج سريعاً
 على تهيئة الكون للحياة فى القرآن .. ويتبع ذلك بعرض للإشارات القرآنية فى
 إعجاز الخلق، والتسخير، والتدبير الكونى .. ونعرض للماء، والروح، والحياة
 الكونية ..

ثم نتناول دراسة مَعْرِفِيَّة للزمان، والمسافات، والمواقع، والسرعات، والنسبية
 الكونية فى القرآن ..

ولما كانت حياة الذرة تشابه حياة المجرة .. أصبح لزاماً علينا دراسة الكون
 فى منظومات متكاملة .. تؤثر وتتأثر بعضها ببعض .. نقصرها على منظومتين ..
 أرضية، وسماوية .. بمنظور إسلامى وبإشارات من القرآن الكريم ..
 وتشمل مدارستنا فى هذا الخصوص التمهيدى على فصلين:

الفصل الأول: ويشمل تعاريف ومفاهيم .. وردت فى آيات القرآن عن: الكون،
 والقرآن، والسنة، والخلق الكونى العام، والتوحيد ..

والفصل الثانى: ويحوى آيات السنن الكونية القرآنية .. المتضمنة الإنشاء،
 والخلق، والتسخير .. وهذه السنن التسخيرية قرينة أننا مكلفون شرعاً بتسخير
 كل ما خلق الله وسخر .. من كل شىء .. لمنفعة البشر جميعهم .. وعلى هذا فنحن
 مكلفون بارتفاق كل شىء يا أحياب!

أما سُنَّة التدبير الكونى يا ولدى! فقريئة تكليفنا شرعاً باستنهاض إرادة الحياة
 الكريمة بإتقان كَلِّى لشتى النشاطات البشرية فوق وتحت الأرض وفى الفضاء ..

١. الكون

- ويا ولدى! الكون هو كتاب الله المنظور.. هو كتاب الله المادى.. هو وسيلة الايضاح التعليمية الكونية.. هو مجال ومكان وزمان الحياة لكل ذرة ومجرة فى الكون يحتاج إليها الإنسان.

ونحن المسلمين مُكلفون ومطالبون بالنظر إلى الكون.. والغوص بعقول نابهة فى أعماق مُفرداته، والتفكر فيه، وقراءته، ثم الانتقال بالعمل الإيجابى الى تسخيرهِ لمصلحتنا، ولمصلحة البشرية جَمْعاء.. والارتفاق والانتفاع بـ ﴿كل شيء﴾ فى الكون.. وهذا لايتأتى ذلك الا بدراسة ﴿كل شيء﴾ فى الخلق والخلقة.. بمدارس علمية متخصصة.. تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق﴾

- نحن مُطالبون مكلفون بقراءة ودراسة كل ما خلق الله من شيء.. ﴿كل شيء﴾.. وفوق ذلك نحن مكلفون مطالبون بقراءة تراكمات المعارف البشرية المدونة فى الكتب.. ونحن مكلفون مطالبون بقراءة خَلْق الإنسان، وطعامه النباتى والحيوانى.. وكل ما سخر له فى الحياة الدنيا.. وتأمل ولدى!

قول الله تعالى: ﴿فليُنظر الإنسان ممَّ خُلِق﴾

وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون الى الأبل كيف خُلِقْت﴾

وقوله تعالى: ﴿فليُنظر الإنسان الى طعامه﴾

وقوله تعالى: ﴿فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك

لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾

- نحن مُطالبون بالسير فى الأكوان وقراءتها.. والانتقال الجاد من النظر الى

الدراسة العقلية الإيمانية العميقة المتأنية.. تأمل ولدى!

قول الله تعالى: ﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من

شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾

(الأعراف: ١٨٥: ٧)

وقوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر

عن قوم لا يؤمنون﴾ (يونس: ١٠: ١٠١)

وقوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من

فروج﴾ (ق: ٥٠: ٦)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء

فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿١﴾ (الأنعام: ٩٩)

- ما سبق كله يا ولدى! يندرج تحت دراسة السنن الكونية المادية المعجزة ٠٠ فى الخلق والجعل والتسخير والتدبير.
- ناهيك ولدى! أننا مطالبون بقراءة السنن الاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية فى الامم السابقة وتأمل ٠٠

قول الله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ (فاطره: ٤٤:٣)

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ (غافر: ٤٠: ٨٢)

- نحن مطالبون مكلفون ٠٠ نحن جميعاً يا أحبّاب! ٠٠ بقراءة وتدبر سنن وعواقب المجرمين، والمفسدين، والظالمين، والمنذرين، والمكذبين ٠٠ الاعراف ٧ (١٠٣، ٨٤)، ويونس ١٠ (٧٣، ٣٩)، والنمل ٢٧ (٥١، ١٤)، القصص ٢٨: ٤٠، والصفات ٣٧: ٧٣، والزخرف ٤٣: ٢٥

- والدراسات الكونية الاخلاقية الاجتماعية ٠٠ لها مناهجها وطرائقها البحثية - أسسها علماء المسلمين من أمثال عبد الرحمن بن خلدون فى المقدمة - والتي تعتبر وبحق أساس علم الاجتماع الحديث ٠٠ كما أن الإمام أبو حامد الغزالي أثرى الفكر البشرى فى المشكلة الاخلاقية.

- ختاماً لتأمل قول الله تعالى: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾ (النساء: ٥٠)

- وهدف التكليف بقراءة وتدبر الكون هو هدف ايمانى بالدرجة الاولى ٠٠ يقول الله تعالى:

﴿إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين، وفى خلقكم وما يبث من دابة لآيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ (الجاثية: ٤-٦: ٣٠).
- وملخص القول:

- إذا أردتم يا أحباب! أن تكونوا من أهل الايمان فعليكم بقآمل كون الله المنظور! ﴿إن فى السموات والارض لآيات للمؤمنين﴾ الجاثية ٣٠.

- وإذا أردتم أن تكونوا من أهل اليقين فعليكم بالتدبر فى الانسان وممالك الدواب. ﴿وفى خلقكم وما يبث من دابة لآيات لقوم يوقنون﴾ الجاثية: ٤٠.

- وإذا أردتم أن تكونوا من أهل التفكير والتدبر والتعقل فعليكم بدراسة الكون، وتسخير، والارتفاق بمفرداته - للنفع البشرى. النبات. الرياح. والزمان. والظواهر الكلية للكون. واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون.

- وإذا أردتم حصاد الايمان فعليكم بالقرآن. ﴿فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ الجاثية: ٦٠.

- فالكون يا أحباب! كتاب الله المنظور. والقرآن كتاب الله المسطور. متجدد الاسرار والآيات العلمية. ماعونان مسطوحان مفردان للبيان والتبيان. ولاثراء المعارف والعلوم البشرية.

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: ٥٣: ٤١).

فالعلم البشرى يا أحباب! - حصيلة تراكمية لفكر الاجيال. ويثرى كل جيل ويضيف إلى معارف الجيل الذى سبقه، يتواصل وبلا انقطاع.

- وفى شأن القراءة العادية للسجل البشرى يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: (إنه يقرأ لا رغبة فى الانعزال عن الحياة، بل لأن حياة واحدة - هى حياته الشخصية - لاتكفيه، وإنما هو فهم لدروس وعبر وخلاصة أكثر من حياة واحدة، والقراءة هى الوعاء الاكبر لعبر ودروس الآخرين، بمعنى أنها سجل البشرية. سجل العبقريّة والابتقان والابداع، والتميز والتفوق). فما بالكم يا أحباب! بقراءة وتدبر سنن الله تعالى فى الكون والقرآن. والارتفاق والانتفاع بما فى كونه الله. كون الله المنظور، وكون الله المسطور!؟

- وقراءة الكون. و الغوص فى جواهر مفرداته. تقدم للمسلم ولغير المسلم علماً يقينياً. دليلاً على قدرة وإبداع الخالق. ودليلاً على صدق رسالة الاسلام.

- نحن مكلفون بأن ندرس، ونبحث، ونتدبر، ونعقل، ونؤمن، ونكتب. ويقرأ عنا الآخرون. وكل هذا يا أحباب! فريضة على كل مسلم ومسلمة.

- ولكل شىء فى الوجود طرّفه الخاصة فى التعرف عليه، ورصده، وقياسه. وعلى وجه العموم فإن الانسان مكلف مطالب بإعمال كل حواسه السمعية والبصرية والقلبية والعقلية. لدراسة وتفهم وإرتفاق كل شىء فى الكون والقرآن. فهى

إذن قراءة ودراسة لعلوم تجريبية.. مبنية على المشاهدة والرصد والتجربة والأدلة والبراهين.. لمكونات نظام كونى مُنَظَّم مُنْتَظَم.. لاتبدل، ولا تحويل لسُنَّته وآياته.. ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (فاطره٣:٤٣)

- والكون يا أحباب! هو عبارة عن وجود ﴿كل شيء﴾ فى العالم، وهو مرادف للوجود المطلق.. ومعناه السموات والأرض وما بينهما.. من مجرات، وبروج، ونجوم، وكواكب، وكل ما خلق الله من شيء - جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وغلاف الأرض، ومادة الفضاء، والمادة، والمادة المضادة، وتأثيرات القوى الكونية، والقوى المضادة.

- ومعلومات العلماء خاصة.. والبشر عامة.. عن ثراء الكون بسيطة، فقيرة، متباينة، لأنها مبنية على فرضيات تخمينية.. فمعرفةتنا عن مكونات الفضاء، وعن النظام الكونى: الشمس ومجموعتها الكوكبية، وحتى عن مكونات الأرض، وغلافها الجوى لا زالت فى بداية الطريق.. وأما معلوماتنا عن المجرات والسحب الكونية الواقعة بين المجرات، وعن النجوم البعيدة، وكواكبها وأقمارها.. فلا زالت ألغازاً علمية كبيرة - أمام علماء الفضاء، والعلوم، والفلك، والطبيعة. والرياضيات، والكيمياء، والبيولوجيا.

- والعلماء لا يعرفون فك لغز كمية المادة فى الكون؟! ولا يعرفون كنه الكون؟! وما إذا كان مفتوحاً إلى مالا نهاية؟! أم أن الكون مغلق؟! وهل تبدأ كتلة الكون فى إعادة ضم المجرات المتمددة؟!..

- والمادة الكونية الماثلة أمام العلماء ولهم عنها بعض المعلومات لاتزيد على ١٠٪ من مادة الكون! والباقى وقيمه ٩٠٪ من مادة الكون - هى فى واقع الحال مادة سوداء، ذات تكوين مجهول، ويسمونها العلماء بالكتلة المفقودة وهى الكتلة الأكبر، والكون يتمدد فى مجالها.. ويقول الله تعالى: ﴿وإننا لموسعون﴾

وتوصل العلماء أخيراً إلى ثقب كونية سوداء، وهى نقط للجاذبية، ومن القوة بحيث تمتص كل شيء.. بما فى ذلك الضوء والماء و ﴿كل شيء﴾.. وهو مالم يتم التعرف عليه ورصده من قبل ويشغل بال العلماء الآن، انبناءً على بعض ماعرفوه عن المادة، البحث عن مجرات المادة المضادة.. بمعنى أنه إذا تصادمت مجرات تكويناتها من المادة العادية مع مجرات مكونة من المادة المضادة فيحدث فناء كونى - من هذا التصادم، أو الالتقاء.. وتنتج انفجارات ذات طبيعة إشعاعية مميزة بأشعة جاما وغيرها بما لم يحط به الإنسان علماً.

- وللمجرات والنجوم والكواكب مواقع ذاتية ومسافات بينية هائلة، لا يمكن

تصورها ٠٠ فيقول تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ (الواقعة: ٧٥، ٧٦) ٠٠ ولكل شىء فى الوجود زمانه وأجله! ﴿لكل أجل كتاب﴾ (الرعد: ٣٨) ٠٠، ولكل شىء حركته المنتظمة البسيطة فى ذاتها ٠٠ أى أنها حركة منتظمة وبسيطة لكل مجرة، ولكل نجم، ولكل كوكب، ولكل قمر، لكنها حركة نسبية مركبة فيما بين النجوم، والكواكب، والأقمار بحسب سرعاتها، وبحسب مواقعها فى الكون ٠٠ وبحسب كتلة كل منها ٠٠ ويقول تعالى: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ (يس: ٤٠) ٠٠ ومن قراءة المسافات، والازمان، والسرعات، والكتل، والاوزان الكونية كانت قوانين الميكانيكا لنيوتن! ٠٠ - لكن نيوتن أهمل نسبية الحركة (أهمل الربط بين الزمان والمكان فى آن واحد)! ٠٠ فكانت بعده وبأمد طويل قوانين نسبية أينشتاين، ومجالها محدود زمانه ومكانه كونياً! ٠٠ فأينشتاين أهمل أثر تكرار المدة، أى تكرار الأفعال لمدة طويلة ولتكرارات عديدة! ٠٠ فنظرياتها تواجه عديداً من المآزق! ٠٠ ربما!! والله أعلم ٠٠ تفسر نظرية الاختلال ليفغنبوم مآزقهما؟ ومن عجب! أن كل هذا ويزيد! ٠٠ وارد بالقرآن والسنة ٠٠

- من هنا يا أحباب! فالكون والقرآن والسنة هم مصدر الهام العلماء! ٠٠ وتقابل نظرياتهم مآزق فى مواجهة عمق الكون ومكوناته، لكن تبقى الآيات الكونية القرآنية منجماً إعجازياً متجداً لسنن الله فى الكون بقدر إدراكنا للأشياء! ٠٠ فالحركة الكونية فى بساطتها وتعقيداتها - هى حركة بتدبير من الله سبحانه وتعالى، وبقدرته، وبعزته ٠٠ ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف: ٥٤) ٠٠ ﴿يدبر الأمر﴾ (الرعد: ٢) ٠٠ ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ (يونس: ٦٥)

وحركة النماء فى النبات، والحيوان، والإنسان، وحركة الانتقال للحيوان والإنسان، وإلى منتهى الحياة ٠٠ تتم بإرادة الله سبحانه وتعالى ٠٠ إلى الأجل المحدد بعلمه جلّ جلاله! ٠٠ وكذلك فالبعث وعود الحياة أمور يختص بها الله سبحانه وتعالى ٠٠ ﴿رب كل شىء﴾ ٠٠ وسبق أن ذكرنا وكررنا يا أحباب! أن التدبير الإلهى يقابله تكليفنا باستنهاض إرادة الحياة القوية العزيزة الكريمة ٠٠ حيث يُذكرنا رسول الله ﷺ: ﴿المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف﴾ ٠٠ فهل أن الأوان أن نأخذ هذا الاشارات وتلك التكليفات ٠٠ بدراسة الكون! ٠٠ مأخذ البحث والتعمق والتطبيق، سبيلاً إلى إرادة الحياة ٠٠ وقوة مجتمع وأمة! ٠٠ ويعرف هذا المجال فى لغات الأقوام بلفظ (كوزموس) فى الإنجليزية والفرنسية COSMOS، وفى اللاتينية COSMUS، وفى الألمانية KOSMOS، وفى الروسية KOCMOC، وأساسيات المجال هذا مبنية على ماورد بالكتاب والسنة! ٠٠

- وللأسف الشديد!! فإن من يريد أن يغوص ويتعمق فى هذا المجال عليه بمرجعيات الكوزمولوجى فى مؤلفات الغرب! أو بالتراجم النادرة، والمتأخرة - فى بلاد العرب!! نحن مكفون بإعمال هذه العلوم ونواتجها فى حياتنا اليومية يا أحباب!!

٣. علم الكون فى القرآن والسنة!

- سألت ابنتى: وما علاقة علم الكون بالقرآن والسنة !!؟
- وأجبت: يابنتى! علم الكون هو العلم الذى يبحث فى قوانين العالم، ذلك من جهة أصله وتكوينه، أما علم الكون العقلى (الكوزمولوجيا العقلية) فهو العلم الذى يبحث فى مسائل الكون المتعلقة بأصله وطبيعته من جهة أنه واقع متعين خارج الذهن!!

- وإذا كان القرآن الكريم - كتاب الله المسطور - أنزله الله نوراً وهدى ورحمة للعالمين يبشر المؤمن وينذر الكافر، إلا أنه قد حوى الكثير من الدلالات والمعجزات الحسية الكونية بقدر إدراكنا لمعاني الآيات فى الإجمال وفى وحدة الموضوع، ومعانى السور ومقاصدها، ومعانى المفردات فى التفصيل والجوهر.
- وكما أن الكون كل لا يتجزأ!! فإن القرآن كل لا يقبل التجزئة كذلك!! وإلا كان الفساد!! وحلّ الاختلال!! ووقع الدمار!! وتلك سُنَّة من السنن الكونية والاجتماعية!! وردت على سبيل التنوع والشمول فى مجمل القصص القرآنى!! قصص أنبياء الله ورسله إبراهيم!! وداود!! وسليمان!! ونوح!! وصالح!! ولوط!! وموسى!! وعيسى!! ومحمد!! صلوات الله عليهم جميعاً!! فدين الله واحد ورسالاته متممة بعضها البعض.

- وتقفز البشرية كل يوم يا أحباب! بالعديد والجديد من المعلومات!! إلا أننا وعلومنا ومعارفنا البشرية فى تبديل مستمر!! ونستطيع أن نسلم بداهة أنه لا يوجد رأى نهائى فى العلم البشرى!!

- وتزداد المعارف، ويترسخ الفكر، ويقترّب العلم والمعارف والفكر البشرى فى النهاية إقتراباً حثيثاً من مائدة القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وعلى هذا فلا حجية مقطوع بها إلا لما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحسب أن الاسلام هو الرسالة الخاتمة التى هضمت كل الرسائل وحوت جواهرها!!

٠٣ القرآن كتاب منهج وخبرة وحكمة!

- سأل ولدى: وهل القرآن كتاب منهج علمى وخبرة تطبيقية؟!؟

- أجبت: نعم يا ولدى! القرآن كتاب الله المسطور المقروء... والقرآن مرآة للكون وتوصيفاً له... هو كتاب كريم مجيد، لاريب فيه، نزل بالحق... والقرآن الحكيم يا ولدى! كتاب علم وخبرة من لدن عليم خبير، كتاب حكمة وعلم من لدن حكيم عليم، كتاب مبين، لا عوج فيه، منزل من العزيز الحكيم العليم الخبير، أنزله الله على رسولنا الكريم ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم - صراط العزيز الحميد، فيه التكليف والفرائض... ولا تكلف نفس إلا وسعها... كتاب مبارك، وفيه بركات لاتعد ولا تحصى تستحق التذكر والتدبر... من هنا كان التفكير والتدبر وإعمال العقل من ضمن الفرائض الإسلامية...!

﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج - لعلهم يتقون﴾... ﴿ولعلهم يعقلون﴾... ولينذر به الناس أجمعين...!

ويسر الله القرآن للذكر، وعلم الله القرآن، وأنزله الله بالحق على محمد رسوله، وجمعه فى قلبه، وتولى الله حفظه إلى يوم الدين... هو قرآن عربى، مبين مجيد، كريم، حكيم... وهو الكتاب المقدس عندنا نحن المسلمين!!

يقول تعالى: ﴿ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت ٤٨:٢٩)

ويقول تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك رؤحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (الشورى ٥٣:٥٢:٤٢)

- القرآن يا ولدى! هدى، ونور... نور من الله تعالى أنزله على رسولنا ﷺ... ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين﴾

رسول الله ﷺ الذى جاء بالدين الحق ليظهره على الدين كله، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور... وفوق كل هذا وذاك فإنه الله... هو الذى يصلى علينا وملأته ليخرجنا من الظلمات إلى النور، وكان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً. ويطلبنا

الله تبارك وتعالى بالتدبر فى الكون والقرآن، والتعقل فى مضمون آياته، وتَعْلَمَ علومه.

- فالقرآن كتاب علم وخبرة وحكمة الهية مُنزل مُمن خلق الأرض والسموات العلوى، وهو هدى وهداية للحياتين الدنيا والاخرة، وما يعلم تأويله الا الله، وجاء ذلك كله فى قوله تعالى:

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ (غافر:٤٠)

وقوله تعالى: ﴿تنزيل من الله العزيز الحكيم﴾ (الاحقاف:٤٦) (الجاثية:٤٤)

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ (الزمر:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (السجدة:٣٢)

وقوله تعالى: ﴿والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير﴾ (فاطر:٣٥)

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ (الاعراف:٧)

وقوله تعالى: ﴿ألمر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (يونس:١٠)

وقوله تعالى: ﴿ألمر تلك آيات الكتاب المبين﴾ (يوسف:١٢)

وقوله تعالى: ﴿ألمر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ (الرعد:١٣)

وقوله تعالى: ﴿ألمر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ (الحجر:١٥)

وقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ (الشعرا:٢٦٤)

وقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (لقمان:٣١)

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب﴾ (ص:٣٨)

وقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف:٤٣)

وقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت:٤١)

وقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر:٣٩)

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ (طه:٢٠)

- من كل ماتقدم ياولدى! نحن مطالبون بإجادة العربية كوعاء لرسالة الاسلام! مطالبون نحن بتعريب التعليم المتوسط والعالى على إمتداد الوطنيين العربى

والإسلامى!

- ولا يقصد يا أحباب! بالتعريب تعريب التعبير فتلك نظرة قاصرة! بل إن جوهر التعريب يكمن فى التفكير أولاً! ثم فى التعبير تبعاً! ومن هنا تتجسد المسئولية فى إعتقاد اللغة العربية لغة علم تدريساً، وبحثاً، وتأليفاً بديلاً عن اللغات الأجنبية، ولا بد أن تكون اللغة العربية لغة فكر ولغة علم معاً! حتى لانظر تابعين فكرياً وثقافياً!!

- والاستقلال الفكرى واللغوى روح وجسد! لا يقبلان التجزئة ولا تناسخ بينهما! فماعون ووعاء الفكر اللغة، ولا يتصور تهجيناً هزيلاً بين التعريب الفكرى واللغة ينتج عنهما كيان حضارى! أو حتى إستمرار لهوية! فهذا هو الضياع بعينه يا سادة!!

- صحيح يا ولدى! التعريب سابق! والفكر تابع! لكن تبقى الخبرة الثقافية العامة، والمعارف البشرية الحديثة فى العلوم الجمادية غذاء لا غنى عنه للتعريب والفكر!!

- من هنا فالدعوة للتعريب دعوة مرنة لا بد وأن تدعمها حركة ترجمة فعالة، وصلاً بالحضارات والمنجزات البشرية! وهذا حق فطرى أصيل من حقوق البشر على وجه الأرض! ونصادف صواباً إذا نشرنا تحفيظ القرآن الكريم! كله أو بعضه! مع إلزام كل وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرى باللغة العربية! وأقصد بها الفصحى اليسيرة التى تصل الى عامة الناس!!

- يا ولدى! قرأنا دستور ومنهج من الله أحكم الحاكمين، علام الغيوب، الخبير، العزيز، خالق كل شىء! وتأمل يا ولدى! قوله تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٢٧) وقوله تعالى: ﴿الرَّكَابَ أَحْكَمَتْ آيَاتِهِ مِنْ لَدُنْ عَلِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١١) وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه: ٢٠)!

- فالقرآن والحال كذلك يا ولدى! كتاب خبرة! كتاب حكمة! كتاب إطار - إطار فكر وعلم! منزل من لدن حكيم عليم! منزل من لدن عليم خبير! وفى الإجمال فالقرآن كتاب فكر، وعلم، وخبرة، وحكمة إلهية! كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى، خالق الكون كله!!

- والقرآن يا ولدى! كتاب العبر فى الخلق والتسخير والتدبير الكونى! كتاب العبر فى التشريع البشرى! اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً! ويصف ربنا تبارك وتعالى القرآن بقوله: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ (ق: ١: ٥٠) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

كريم ﴿ (الواقعة:٥٦:٧٧) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (البروج:٨٥:٢١) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ (البقرة:٢-٥:١).

- وقوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (آل عمران:٧:٣).

- والله نور السموات والأرض ٠٠ ورسوله محمد ﷺ نور ٠٠ والقرآن نور ٠٠ نزل به الروح الأمين على الرسول النور ٠٠ نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء!!

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة:١٥).

﴿نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾ (النور:٢٤:٣٥).

- فيا قوم! أى شرف هذا حلّ بأمة محمد ﷺ جاءهم من الله نور محمد ﷺ ، ونور القرآن ٠٠ وأمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ٠٠ جاءنا نور منه الله جل فى علاه ٠٠ وأسأنا الفهم، وأسأنا التصرف، وأحسننا التّرك والإهمال - فكانت التبعية، وكان التخلف.

٤٠٤ الإشارات العلمية فى القرآن

- سألت ابنتى: وما علاقة القرآن بالعلم؟! ٠٠

- أجبت: يا ابنتى! العلم مبتداه وجوهره ومنتهاه من الله سبحانه وتعالى ٠٠ فلا علم بلا مدخل ومسمى ٠٠ ولا علم بلا جوهر ومضمون وتأثير وتأثر، وغاية ونفع، وأثر وضرر ٠٠ وتأملى يا ابنتى! قول الله تعالى:

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (البقرة:٣١:٣٣).

ويا ابنتى! لله وحده العلم المطلق! ٠٠ والله قد أحاط بكل شىء علماً، وهو أعلم العالمين، ولا إحاطة بعلم الله، ومن يعلم الشىء البسيط من علم الله فبمشيئة منه

جلّ جلاله٠٠ وما علمنا الا اليسير القليل٠٠ والله محيط بكل العلم وكل الاشياء٠٠

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق:٦٥:١٢)

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه:٢٠:١١٥)

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة:٢:٢٥٥)

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الاسراء:١٧:٨٥)

- والحقائق العلمية في القرآن حقائق ثابتة من الحق سبحانه وتعالى إكتشفها الإنسان، أو لم يكتشفها فهذا شأنه٠٠ ولا بد أن نزيح عن الازهان فكراً جزئياً فيما يخص أن الحقيقة العلمية ليست فقط متعلقة بعلوم الجمار٠٠ ولكنها متعددة لتشمل الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأمر يعلمها الله سبحانه وتعالى عن النفس البشرية المتباعدة بين الأمانة، واللومة، والمطمئنة٠٠ ويعلمها جل جلاله عن الأسر، والمجتمعات، والشعوب، والكوكب، والكواكب، والكون كله٠٠

وإرجعى يابنيتى! إلى كل علوم الدنيا التطبيقية وراجعى أهم المراجع البشرية المحايدة فستجدين إنصافاً ما بعده إنصاف للإشارات العلمية في القرآن الكريم لجميع علوم الجمار والاقتصاد والاجتماع٠٠ وطالعى يابنيتى! كتاب الإشارات العلمية في آيات القرآن٠٠ وأمامك يابنيتى! أهم مراجع ومصادر هذا العمل إقرأى وراجعى٠٠ لعل في ذلك الزيادة والإفادة٠٠ ومما لاشك فيه ستشعرين بالسرور والفخار أن كل حقائق العلم والكون تتفق وآيات القرآن وإشاراته الإعجازية٠٠

من كل مثل!!

- سأل ولدى الأكبر: هل معنى هذا أن الشمولية العلمية متحققة في القرآن؟!

- أجبته: بالطبع متحققة يا ولدى! فالله جلّ جلاله محيط بالعلوم على إطلاقها٠٠ وعلى هذا جاء الورد القرآنى شاملاً كل نشاطات الحياة الكونية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية٠٠ على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة والبشرية٠٠ فالقرآن والحال كذلك تكامل علمى وثقافى٠٠ تحدد فيه المنهج٠٠ ومنهج العلوم الكونية ومنهج العلوم الفقهية العادية (فقه العبادات والمعاملات) ومنهج فقه الحياة فى شتى دروبها٠٠ فى كل شىء٠٠ تأمل ولدى! قول الله تعالى:

- ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

(الإسراء: ١٧٤: ٨٩)

- ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون﴾ (الزمر: ٢٧)
- ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شىء جدلاً﴾ (الكهف: ١٨٤)
- ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ (الروم: ٢٠: ٥٨)
- والاسلام يا ولدى! دين الفطرة الاختيارية!! وأمثال القرآن فطرية - يتقبلها كل الناس وكل الاعمار!!

- ديننا يا ولدى! دين الفطرة البشرية التى خلق الله الناس عليها!! يقول تعالى:

- ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون، وله من فى السموات والأرض كل له قانتون، وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، ضرب لكم مثلاً تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون، بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين، فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم: ٣٠: ٢٠-٣٠)

- و تُجمل آيات النظر وأمثال القرآن وقصصه - منهاجا لفقه الحياة!!
- ولا يعلم الاثر المباشر لمنهج الاسلام وكذلك آثاره طويلة المدى وقصيرته إلا الله تعالى!! ولنتأمل قوله جل جلاله:

- ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ١٦: ٧٤)

- ﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ (الإسراء: ٤٨: ١٧٤)، (الفرقان: ٢٥: ٩)

- ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت: ٢٩: ٤٣)

- ﴿وَكَلَّا ضَرْبَنَا لَهُ الْأَمْثَالُ وَكَلَّا تَبَرْنَا تَنْتَبِيرًا﴾ (الفرقان ٣٩:٢٥)
- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر ٢١:٥٩)
- ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد ١٣:١٧)
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم ١٤:٢٥، ٢٤)
- ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرْبَنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (إبراهيم ١٤:٤٥)
- ﴿سَاءَ مِثْلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ﴾ (الأعراف ٧:١٧٧)
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مَّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ فَآذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل ١٦:١١٢)
- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مِثْلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر ٣٩:٢٩)
- ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ، فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ، فَجَعَلْنَاهُمْ سُلْفًا وَمِثْلًا لِّلْآخِرِينَ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون، وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمُ خُصْمُونَ، إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ (الزخرف ٤٣:٥٤-٦٠)
- ويا ولدي! ما جاء عالم وما استطاعت البشرية مجتمعة أن تجد تناقضاً بين فقه الجمار وفقه الحياة فى نصوص القرآن منذ زمن التنزيل وحتى قيام الساعة.. ولا تخلط يا ولدي!! بين الإسلام وبين أحوال المسلمين.. فالعيب فينا والخُصْب والثراء فى ديننا وكتابنا المقدس القرآن الكريم..!
- هل شعرتم بجوهر ما أقول؟!.. الله أسأل ذلك..!

٥٥ سنة رسول الله هداية

- سأل ولدى: وهل شمولية السنة كشمولية القرآن ؟!؟

- أجبت: يا ولدى ! الشمولية واحدة هى هى! فالقرآن دستور ومنهج، والسنة دستور حى ومنهج تطبيقي! السنة يا ولدى ! قرآن حى! ويقول الله تعالى فى شأن الرسالة والرسول ﷺ:

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (آل عمران ١٤٤:٣)

ويقول تعالى: ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليماً﴾ (الأحزاب ٤٠:٣٣)

ويقول تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ (محمد ٢:٤٧)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ (الفتح ٢٨:٤٨)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة ٣٣:٩)، (الصف ٩:٦١)

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى أنزل على رسوله والكتاب الذى نزل من قبل ومن يكفر بالله وملأنته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ (النساء ١٣٦:٤)

ويقول تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ (النور ٥٢:٢٤)

ويقول تعالى: ﴿يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (الأحزاب ٧١:٣٣)

ويقول تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (الأنفال ٤٦:٨)

ويقول تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (المائدة ٥٥:٥٥)

ويقول تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾ (النجم ٤٣:٥٣)

ويقول تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ (الشورى ٥٢:٤٢)

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل ٢٧:٢)

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المؤمنون ٢٣:٧٣)

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٦٨:٤)

ويقول تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور ٢٤:٣٥)

- وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي﴾ الحديث رقم ٣٢٣٢ فى صحيح الجامع.
- ورد جميع الأنبياء لأقوامهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ !!

- ومن وصايا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب لعبد الله ابن عباس لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج قال موجهاً: (لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً) .. !!
- ومعنى حمّال أى يحمل معانى كثيرة إن أخذت بأحدها أحتج بالآخر .. ومعنى محيصاً: مَهْرَباً .. بمعنى أن السنة هى التطبيق الحى لجوهر القرآن .. بما لا يقبل إساءة التأويل أو الفهم .. !!

- وعلى هذا فالقرآن والسنة هما الاطار السماوى المرجعى لفقه الحياة بكل أبعادها وسننها الكونية وفقها الحياتى الثقافى والحضارى .. وهما غير قابلين للتجزئ والتبعيض .. فيهما التدرج والتعزير والتسهيل والسماحة .. هما عبادة .. وثقافة .. وحضارة .. وهما تربية .. وهما أخلاق .. وهما علاقات أسرة .. وأحكام مجتمعات .. وهما اعلام واتصال .. وهما محددات التغيرات الاجتماعية .. وهما العلاقات بين الشعوب والأمم .. !!

- وشمولية الكون كشمولية القرآن والسنة .. والاسلام يفتح الباب على مصراعيه للتفقه .. واعمال العقل .. والفكر .. والابتغاء .. والجِد .. والعمل .. !!
والاسلام يعتنى بفقه العبادات والمعاملات وبفقه الحياة وسنن الكون - التاريخية، والاجتماعية، والأخلاقية - فى حبكة ربانية حقة ..

- وتعيج المكتبة العربية بثناء لانظير له فى فقه العبادات والمعاملات .. !!
- وبسبب الجدل والاختلاف الشكلي فى فقه المعاملات والفروع انقسمنا شيعاً وأحزاباً، وبسبب تغيبنا وبعثنا عن جوهر المنهج القرآنى فنحن فقراء بخجل فى فقه الحياة !!

- ففقرتنا فى السنن الكونية والعلوم الجمادية والاجتماعية فقر مُهين ..!! هو فقر الترك والإهمال لشرائع السماء ..!! ففى الوقت الذى يعنى القرآن الكريم بالسنن

الكونية والحياتية، وتورد السنة النبوية المشرفة الكونيات وأدق تفاصيل الحياة البشرية من كل الوجوه - بتدفقات تُذهل العلماء غير المسلمين!.. فنحن عن هذا منصرفون لاهون عابثون!..

- ويرجع ذلك التناقض بين الاطار الاسلامى وواقع المسلمين إلى إنصرافنا عن العلوم التجريبية.. نحن غرقى الجدَل فى العبادات والمعاملات، والتشيع للمذاهب، والملل، والنحل!..

- ويبدو للمَنصف الرّاصد للواقع الحالى للمسلمين.. أننا عطلنا الأوامر القرآنية فيما يخص السنن الكونية والحياتية.. بالنظر فى الكون والقرآن والسنة.. ودراستهم الدراسة الإطارية المتعمقة الواجبة.. وتسخير الموارد الكونية لاسعاد مجتمعاتنا الاسلامية !!

- ولما كان ذلك كذلك.. جازفت بهذه المُدَارة العقلية الاسلامية الايمانية بدراسة آيات النظر فى الكون والقرآن.. خالصة لوجه الله تعالى.. سائلاً المولى العلى القدير.. ان تفتح هذه المحاولة الباب أمام عمل مؤسسى منظم لمثل هذا الصنف من الدراسات.. لعلها خطوة على طريق العود بالأمة الاسلامية إلى سابق ريادتها الثقافية والحضارية والعلمية للبشرية جمعاء!..

٥٦ من خلق السموات والأرض !؟

- قال ولدى: سألقى صديقى الحَيْران ! من خلق السموات والأرض ؟!..
- قلت: يا ولدى ! عليك أن ترد عليه السؤال بسؤال إعمالاً لقول الله تعالى:
- ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾
(الزخرف ٩:٤٣)

- ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (لقمان ٢٥:٣٩)

- ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (العنكبوت ٦١:٢٩)

- ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ (الزمر ٣٨:٣٩)

- ﴿أَمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
(النمل:٢٧-٦٠)

وهكذا يا ولدى ! فإن آيات القرآن أوردت الاجابة على خلق الله للسموات والأرض بالاستفهام الإستنكارى!!
- يا ولدى ! خلقهن العزيز العليم .. الذى لا شريك له فى الملك .. الواحد الاحد الفرد الصمد!!

- ويرد خلقهما كثيراً فى القرآن بنصوص فى خلق الأرض وحدها، وخلق السماء وحدها، وخلق السموات والأرض معاً، وخلق ما بينهما . ويجمل القرآن .. وعلى وجه العموم .. خلقهما مع التسخير، والجعل فى الكون، والإنزال من السماء، والإخراج من الأرض، والإيلاج بين الليل والنهار، والتكوير بين الشمس والقمر، وتتابع الليل والنهار، وخلق الدواب، والنبات، والأزواج، وخلق آدم والبشر، وما يعملون وما يعلمون .. وبالإجمال يورد مع خلقهما خلق كل شئ فى الكون - حيث يقول تعالى: ﴿خالق كل شئ﴾ ..

- والشئ يا ولدى ! فى اللغة: هو ما يصح أن يُعلم به، ويُخبر عنه، أو يُحكم عليه، وفى الاصطلاح هو الموجود، سواء كان وجوده خارجياً، أو ذهنياً، لذلك قيل الشئ، والثابت، والموجود - ألفاظ مترادفة .. فلا يطلق على المعدوم، وقيل للشئ هو ما يصح أن يوجد، أما الممتنع أى المستحيل، أو المعدوم فيسمى شيئاً لغوً، ولكنه ليس شيئاً بمعنى أنه غير ثابت .. ولذلك قيل الشئ حقيقة فى الموجود، ومجازاً فى المعدوم.

- والشئية تساوى الوجود، وهى صحة العلم والإخبار عنه .. وسبحان الله العظيم إذ يقول تعالى فى شأن القرآن الكريم كون الله المعنوى ﴿مافرطنا فى الكتاب من شئ﴾ .. وفى شأن الكون المادى يقول تعالى: ﴿وهو الخلاق العليم﴾ .. ويقول تعالى: ﴿إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ .. ويقول تعالى: ﴿الذى خلق فسوى﴾ .. ويقول تعالى: ﴿الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ .. ويقول تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ .. ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم﴾ (البقرة ٢: ٢٩) .. ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام: ٧٣) ..

ويقول تعالى: ﴿هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد ٥٧: ٤) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود ١١: ٧) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأنعام ٩٧: ١٠) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (الاعراف ٧: ٥٧) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الانبيا ٢١: ٣٣) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين إثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد ١٣: ٣) . ويقول تعالى: ﴿هو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (النمل ١٦: ١٤) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ (الفرقان ٢٥: ٤٨) . ويقول تعالى: ﴿وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ (الفرقان ٢٥: ٥٣) .

- والخلق والابداع جاء بالحق . . . والتسخير . . . والجعل . . . والانزال . . . والمد والبسط . . . والارسل - كل ذلك - ماكان لعباً ولهواً، بل كل ذلك صادر عن عزة وحكمة، قرين التكليف للانسان بالانتفاع والارتفاق والاستغلال لكل شىء على وجه الارض وفى الكون . . . حيث يقول تعالى ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً﴾ . وقال عز من قائل ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ .!

- والتكليف هنا يا ولدى ! لعموم الانسان الذكر والانثى ابتغاء . . . وكبحاً . . .

وعبادة!!

٧. من خالق الإنسان وهاديه ورازقه ؟!

- سألت ابنتي: ماذا عن خلق الإنسان فى القرآن ؟!

- أجبت: يا بنيتى ! الله خالق كل شىء . . . خلق الكون، وخلق الزمن، وخلق آدم من

عدم!! وأدُمُ خُلِقَ من تراب متفرداً منذ النشأة الأولى!!

- عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾ (أنظر الحديث رقم ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع).

- وعن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبث، والطيب، وبين ذلك﴾ (أنظر الحديث رقم ١٧٥٩ فى صحيح الجامع).

- وعن السيدة عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿خُلِقَتِ الملائكة من نور، وخُلِقَ الجان من مارِج من نار. وخُلِقَ آدم مما وصف لكم﴾ (أنظر الحديث رقم ٣٢٣٨ فى صحيح الجامع).

- وخلق الله حواء من آدم.. وأهبطهما وإبليس إلى الأرض.. ويخلق الإنسان من زوجية آدم وحواء.. يحدد الله لكل إنسان أربع أساسيات بعد الحمل بأربعين يوماً: الخلق، والخلق، والرزق، والأجل..

- وعن ابن مسعود أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: ﴿فُرِعَ ابن آدم من أربع: من الخلق، والخلق، والرزق والأجل﴾ (أنظر الحديث رقم ٤٢٠٠ فى صحيح الجامع).
- هكذا خلق الله الإنسان علمه البيان.. سخر له الكون لحياته وخدمته وإسعاده.. وجعل حياته ميسرة مليئة بالخيرات لعله يتقى الله.. ويسلم ويؤمن.. ويعبد.. ويعمل.. ويكذب.. ويتبع أوامر الله - التى نزلت على رسوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن والسنة المشرفة!! وفى الحديث الشريف استشهاد هداية ورزق بهذا الخصوص..

- عن أبى هريرة وأبى سعيد قالا أن رسول الله ﷺ قال: ﴿سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه﴾ (أنظر الحديث رقم ٣٦٠٣ فى صحيح الجامع).

- وتبقى الحياة الكونية بإرادة الله بالنشأة الكونية (فى غالبيتها) من الأزواج

- من ماء التكاثر، أو من البيض، أو من البذور، أو من الشتلات .. الرطوبة المائية .. لكل شئ !! فى حياة النباتات .. والطيور .. والحيوانات .. وحياة غالب كل شئ ..!

- والخلق والتسخير والتيسير والتدبير والبقاء والخلود والفناء وارد مشمول فى الآيات الكونية القرآنية!! يقول تعالى:

﴿إِنَّكُمْ إِلَهُ رَبِّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
(الأنعام: ١٠٢)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْبُغُوا أَجْلاً مَسْمُوماً وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر: ٦٧)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢)

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ثُمَّ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: ٩٨)

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَافَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٦٥)

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾
(الحج: ٢٢)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَافَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً﴾ (فاطر: ٣٩)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (الفتح: ٢٨)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٩)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك: ٢٣)

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٤)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾
(غافر ٦٨:٤٠)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من
ينيب﴾ (غافر ١٣:٤٠)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه
تسيمون﴾ (النمل ١٦:١٠)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن فى ذلك
لآيات لقوم يسمعون﴾ (يونس ١٠:٦٧)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان
وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين﴾ (يونس ١٠:٢٢)

يقول تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة ٢٩:٢٢)
ويقول تعالى: ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع
مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابهة كلوا من ثمره إذا أثمر
وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأنعام ٦:١٤١)

وقوله تعالى: ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى
الحميد﴾ (الشورى ٢٨:٤٢)

ويقول تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا
عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾
(يونس ١٠:٥)

ويقول تعالى: ﴿وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون﴾ (المؤمنون ٢٣:٧٩)
ويقول تعالى: ﴿وهو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور
وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ (الأحزاب ٣٣:٤٣)

- ويا أحاب! الإنسان كائن عاقل.. لذلك يتنوع الخطاب العقلى القرآنى بين
الحقيقة والمشاهدة.. تأملوا قول الله تعالى:

﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير، الذى خلق الموت والحياة
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سموات طباقاً ما
ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ (الملك ٦٧: ١-٤)

وقوله تعالى: وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴿يس ٣٦: ٣٧-٤٠﴾

- ويا أحاباب! يتنوع الدليل العقلى فى آيات القرآن عل وحدانية الله سبحانه وتعالى: ﴿لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا فسبحن الله رب العرش عما يصفون، لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون، أم إتخذوا من دونه ءالهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ (الانبيا ٢١: ٢٢-٢٤).

﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحانه الله عما يصفون﴾ (المؤمنون ٢٣: ٩١)
 ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ (النحل ١٦: ١٧)
 ويا أحاباب! يقدم القرآن الكريم لهذا الاستفهام التوبيخى الاستنكارى بسنة عشر آية فى سورة النحل ١-١٦ حيث يقول تعالى:

﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون، ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون، خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين، والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين، هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون، يسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون، وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون، وهو الذى يسخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ (النحل ١٦: ١٧-١٧).

- ويا أحاباب! تتكرر مراراً المقدمة والنتيجة العقليتين.. وتأملوا قوله تعالى:

﴿خلق السموات بغير عمد ترونها، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم، وبث فيها من كل دابة، وأنزلنا من السماء ماءً، فأنبثنا فيها من كل زوج كريم، هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون فى ضلال مبين﴾ (لقمان ١٠: ١١)
 - حقاً يا أحبّاب ! هو الله الواحد الأحد ٠٠ كل شىء من خلقه وجعله وإبداعه وتنزيله وإنزاله وبعثه ووحيه ٠٠ كل شىء من تسخيريه وتدبيره وحده لا شريك له فى ملكه ٠٠ هو الواحد الأحد الفرد الصمد لا إله إلا هو ٠٠ الحي القيوم ٠٠ جل جلاله القائل فى محكم تنزيله:

- ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾ (الاخلاص ١: ٤)

- ﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (إبراهيم ١٤: ١٠)
 - ﴿الله لا إله إلا هو، الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ (البقرة ٢: ٢٥٥)

- ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ (آل عمران ٢: ٢)
 - ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ (الشورى ٤٢: ١١)

باب أول- فصل ٢

إنشاء وتسخير وتدبير الكون

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| ٢. السموات والأرض في القرآن. | ١. الانشاء الكوني في آيات القرآن. |
| ٤. يوهي دخانه. | ٣. بداية خلق الكون. |
| ٦. تزيين السماء الدنيا. | ٥. إئتيا طوعاً أو كرهاً. |
| ٨. الرشق والفتق في القرآن. | ٧. السماء متمدة في الخلق. |
| ١٠. الإستواء على العرش. | ٩. السماء مرفوعة بعمد لانراها. |
| ١٢. بدء الحياة الكونية في القرآن. | ١١. وكان العرش على الماء. |
| ١٤. في الفضاء حياة. | ١٣. خلق آدم.. وخلق الانسان. |
| ١٦. خلق الكون بالحق في القرآن. | ١٥. الافلات من مجال الأرض. |
| ١٨. إبداع الخلق الكوني. | ١٧. زمن الخلق الكوني في القرآن. |
| ٢٠. يقول له كن فيكون. | ١٩. يقول كن فيكون. |
| ٢٢. التسخير الكوني في القرآن. | ٢١. اليوم والألف سنة في القرآن. |
| ٢٤. من مظاهر التدبير الكوني. | ٢٣. التدبير الكوني في القرآن. |
| ٢٦. من واحة الايمان. | ٢٥. هو الله. |
-

١. الإنشاء الكونى

- سألت ابنتى: أفهم معنى إنشاء عمارة أو كوبرى، لكنى لا أفهم معنى إنشاء الكون؟!

- قلت: يابنيتى! أنشأ الله الكون فنشأ.. وأنشأ الخلق فنشأوا ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾.. أما إذا إستنشأنا شركة مقاولات كوبرياً أو عمارة فأنشأتها لنا.. فهذا معناه تكامل أعمال وأفعال.. ومن أين نشأت؟! معناه نهضت؟! ونشأت السحابة..! معناه أنشأها الله.. وتأملى يابنيتى! قول الله تعالى:

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاه، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعاً لكم ولانعامكم﴾ (التازعات ٢٧:٢٣-٣٣)

﴿أفرأيتم النار التى تورون، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾؟! (الواقعة ٧١:٧٢)

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾؟! (الواقعة ٦٨:٦٩)

﴿أفرأيتم ما تحرثون، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (الواقعة ٥٦:٦٤)

﴿أفرأيتم ما تمنون، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (الواقعة ٥٦:٥٨، ٥٩)

بهذا كان الاستفهام الاستنكارى القرآنى حول الخلق والتسخير والتدبير الربانى التى لا طاقة لكل البشر ببعض من أصاغرها.. حتى لو إجتمعوا له؟!

- سؤال حول خلق السماء؟!

- وسؤال حول نشأة المجموعة الشمسية؟!

- وسؤال حول إنزال الماء؟!

- وسؤال حول الزرع والزراعة؟! فنحن نحث عملاً وأداءً.. ونزرع مجازاً!!

- وسؤال حول الخلق البشرى؟!

- وفى الاجمال أسئلة حول كل شىء.. كل خلق الكون؟!

وبداية نحن نشهد أن الله هو الخالق ﴿خالق كل شىء﴾، المنشئ للأكوان، المنزل للماء من السحاب، وهو الزارع.. وهو الخلاق العظيم!!

بداية نقول أن كل ما أنشئ وخلق وسخر وأنزل وزرع وأبدع.. على الهيئة التى نراها وتتركها.. فهو كونى فى الاجمال، أما كل المفردات الشيثية من المخلوقات والاكوان فكونية فى التخصيص!!

وجاء السؤال القرآنى الخاص بخلق الأرض فى قوله تعالى:
﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٤١)
ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً
وصدقاً!!!

- ويابنيتى! إنشاء الكون أو خلقه - معناه إبداع خلقه من لا شىء...
﴿يُدَبِّعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾!! ومن هذه البداية الإبداعية للخلق العزيز
العظيم تجلّى لنا خلق الماء، وخلق السموات والأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن
فيهما... ﴿هُوَ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الْآخِرُ﴾... وما كان الخلق إلا بالحق ﴿وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾!!

- ويابنيتى! الله ﴿خالق كل شىء﴾ خالق الزمان حيث لم يكن، أى كان الزمان
عدماً! ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾!! وخلق الكون فى ستة أيام ثم استوى
إلى السماء، واستوى على العرش يدبر الأمر فى الكون ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ﴾... و﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾!!

- ويابنيتى! العمل الإنشائى عمل منظومى لجملة مكونات تؤثر فى بعضها البعض:
مدخل، سلم، كريدور، صالات، حجرات، مطابخ، حمامات، دورات، فريجات، أبواب
شبابيك... وكل مسخر لخدمة المنشأة!!

ومفهوم السُخْرَةِ عند العوام هو العمل بلا أجر!! وسخر الله معناه أنه خلق
مجمعات منظومية لخدمة الإنسان ولا يريد منه جزاء ولا شكوراً!!!

- يابنيتى الله يضع الكون المادى فى كفة المحسوس الملموس فى اطار
الشينية ﴿خالق كل شىء﴾!! ويجعل من القرآن المرأة الكونية المعنوية الإطارية
الشاملة ﴿كل شىء﴾!! ويقول تعالى: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾!!

- والله سبحانه وتعالى سخر الكون، وسخر كل المخلوقات... ما فى السموات،
وما فى الأرض وما بينهما، ومن فيهما... لإسعاد الإنسان خليفة الله فى
الأرض... ومن هنا فالإنسان مكلف شرعاً باستغلال كل ما خلق الله وسخر ﴿من
شىء﴾ من أجل الإنسان خليفته فى الأرض!!

- ويشغل البال - بوجه عام - مسائل الكون فيما يخص خلق السموات والأرض
وما بينهما، وخلقهما بالحق، وزمن الخلق!... ويشغل بال غير المسلم فيما يخضعه
للرصد والملاحظة الأمر الإلهى ﴿كن فيكون﴾، والتسخير الكونى فى شتى
المظاهر الكونية... من هنا كان للزمن ولعناصر الكون وسبحاتها، وحركتها،

وسكونها مكان بارز في آيات القرآن الكريم .. وهذا مانعرض له فيما بعد .. تحت مسمى .. النسبية في القرآن الكريم ١٢ ..

- والحال كذلك: فالمنظومة الكونية .. خلق وتسخير وتدبير - وكما أراد الله لها أن تكون .. جاءت بكمال وتمام إبداعه .. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ !!

- نعرض لبدء الخلق العام .. السموات والارض، وللماء والحياة، وللخلق بالحق، ولزمن خلق السموات والارض .. كما نعرض للتسخير والتدبير الكوني - وهو ما يعرف قرآنياً بتدبير الكون ﴿بدير الامر﴾ .. والله الموفق والمستعان.

٢. السموات والأرض في القرآن

- سأل ولدي: هل بسبب الاداء المنظومي للكون جاءت السموات والارض مقرونتان بكثرة في الآيات القرآنية ؟!

- أجبت: يا ولدي! الأرض هي الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، لم تجيء مجموعة في القرآن الكريم .. لكنها في الضمنية الكونية القرآنية متعددة في الخلق ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ ويعبر بها عن أسفل الشيء، كما يعبر بالسماء عن أعلاه .. والسماء هي كل ما علا الأرض فللسحاب سماؤه، وللنجوم والكواكب سماؤها .. والسماء في كل الحالات غازية التكوين البنائي، وتأمل قول الله تعالى: ﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان﴾ .. ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ .. ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ فالدخان والغمام والسحب كلها مظاهر غازية للمواد الكونية - الماء والكربون .. ومن عجب بحق ان ايها اوكلها يدخل في تركيبها الاكسجين والهيدروجين منفصلين مع عناصر اخرى كالكربون مع الاكسجين في الدخان (ك ١٨) و (ك ٢١) أما في حالة طبقات السماء الدنيا كالاوزون فالمكون الرئيسي الاكسجين (٣١)، أما السحاب والغمام فهو كما الماء (يد ٢ أ)، مضافاً اليه بعض الكربون .. والكربون المكون الرئيسي للسماء .. هو هو عنصر التكوين الرئيسي للغذاء والكساء والفحم والبتترول والغازات الطبيعية والشجر والنباتات والحيوانات والانسان في الأرض !! وسبحان الله وكما لو كانت الحياة في شتى صورها قائمة في الاساس على مكونين سماويين الماء والكربون .. مصداقاً لقوله الكريم ﴿وانزل من السماء ماء﴾ وقوله

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ (فصلت: ١١: ١٠)!!

ياولدى! إن الاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش - استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، وتدبير الأمر - كلها أمور متعلقة بالذات الإلهية. وعلى المخلوقات التسبيح بالرضا، وعلى الإنس والجن أن يعملوا ابتغاء مرضات الله ويعبدوا الله. ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، وقوله ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾، وقوله ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (الدخان ٤٤: ٣٩)!!

- والإنسان وعمله سببان رئيسيان لخلق الكون. وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً (هود: ٧: ١١) فنحن مطالبون بالعمل، وبالإجادة فى الأعمال. وعلى الإنسان أن يعمل صالحاً لإعمار الأرض وعلى الهيئة التى أراها الله. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون (التوبة: ١٠٥: ١)!!

- وقراءة الكون كتاب الله المنظور المفتوح بدأ بها الوحي على رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾!! فنحن مطالبون بقراءة الكون المنظور المفتوح. قبل قراءة الكتب المسطورة!!
وقد ورد بالقرآن الكريم العديد من الآيات التى تشير إلى خلق السماء، وإلى خلق السموات والأرض، وإلى خلق الأرض، وهى فى التكامل النهائى آيات خلق الكون. ونورد كلا فى الموضع الذى يتناسب مع العرض. ونؤكد أن كل شيء فى الكون يؤثر ويتأثر بالاشياء الأخرى وهذه هى عظمة الخلق والإبداع الكونى العام والخاص!! هو خَلَقَ بالحق ياولدى!!

٢. بداية خلق الكون

- سألت زوجتى: وكيف كانت بداية الخلق الكونى؟

- أجبت: القلم أول شيء خلقه الله سبحانه. فعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

﴿إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره أن يكتب فكتب كل شيء يكون﴾.

حديث صحيح انظر الحديث ٢٠١٦ فى صحيح الجامع.

وأما متى بدأ خلق الكون فهذا موضوع لازال خلافاً بين العلماء. ونظرياتهم

كلها مبنية على الفرض والتخمين، لا القطع واليقين.. فساعة يقدرّون زمن الرشق والفتق (الإنفجار العظيم) منذ ١٥ مليار سنة، وأخرى يقدرّونها منذ ١٨ مليار سنة.. وذهبوا لتقديرات متباينة فى شأن النشأة الأولى.. وبعضهم شطح أمثال دارون فى نظريته عن النشوء والارتقاء ذات المضمون الإلحادى.. وبعضهم أخذ الحفريات وتحولات المادة دليلاً ومرجعاً.. وهى كلها فرضيات تخمينية.. لاترقى لدرجة القطع واليقين!! وأرى أنه من الأنسب أن نحيل الإجابة إلى نصوص القرآن والسنة!!

- ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْاَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ اُنْدَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِىً مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا اَاقَاتَهَا فِى اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ سِوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ اِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دِخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْاَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً اَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَاَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ اَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت:٤١،٤٢)

= نقول: خَلَقَ سَبْعَ سَمَواتٍ فِى يَوْمَيْنِ، وَخَلَقَ الْاَرْضَ بِجِبَالِها وَبِحَارِها فِى يَوْمَيْنِ، وَخَلَقَ ما بَيْنَهُما فِى يَوْمَيْنِ بَلَا تَدَاخُلُ!! والله أعلم !!

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الْاَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ اِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٩)

= وقد تفيد الآيات أن خلق الكون تم فى ستة أيام متداخلة.. فربما - والله أعلم - أن أيام الخلق الاربعة تداخلت.. فى يومين.. مع الاربعة أيام الخاصة بتقدير الاقوات.. ﴿خلق الارض فى يومين﴾.. ﴿ثم استوى إلى السماء فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها﴾.. ﴿قدر فيها اقواتها فى أربعة أيام﴾.. وعلى هذا فالتداخل.. بين يومين والستة أيام الخاصة بخلق الارض والاقوات.. يومين للارض، وأربعة أيام تخص تقدير الاقوات.. وتداخل يومي خلق السموات فى الستة أيام.. فيكون خلق السموات والارض فى ستة أيام (من أيام الارض).. كما ورد فى سبع آيات قرآنية!!

- ونحيل لما ورد فى الحديث.. عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخر ساعة من ساعات

الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل!!

مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم ٠٠ الحديث رقم: ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع

- والتربة ربما يقصد بها هنا السموات والأرض حال الرق ٠٠ وقبل الفتق ٠٠!

- والمكروه فى الخلق يقصد به ﴿شر ما خلق﴾ (الفلق: ١١٣: ٢) ٠٠ أى الجان ٠٠

وخلق الجان بالطبع سابق على خلق آدم وإرجع إلى قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من

صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار﴾ (الرحمن: ١٤: ١٥) ٠٠ وقوله تعالى:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، والجان خلقناه من قبل﴾ من نار

السموم﴾ (الحجر: ٢٦: ٢٧) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق

الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٣٢: ٧) ٠٠ بمعنى أن خلق آدم جاء فى آخر الخلق ٠٠! ثم

استوى الى السماء وهى دخان!! ٠٠!!

٤. وهى دخان

- وأضفت مجيباً: ويقرر البروفسور يوشيدى كوزاى مدير مرصد طوكيو فى

المؤتمر السعودى الثامن للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم: (لم يصل العلم إلا

منذ فترة بسيطة جداً الى أن السماء كانت دخاناً ٠٠ وقد أصبح هذا شيئاً مشهوداً

ومرئياً الآن ٠٠ بعد اطلاق سفن الفضاء والاقمار الصناعية) ويقرر سيادته وبصور

التقطها لنجم فى السماء وهو يتكون ٠٠ وقد بدا كتلة من الدخان فى وسطها تكون

الجزء المضى من النجم وحوله الدخان، وتحيط بالدخان حافة حمراء دليل على

ارتفاع درجة الحرارة ٠٠ ويضيف قائلاً ٠٠ كنا نعتقد منذ سنوات فقط أن

السموات كانت ضباباً ولكنها دخان ٠٠ لأن الضباب خامد وبارد ٠٠ والدخان حار

وفيه حركة ٠٠ وهذا يدل على أن السماء كانت دخاناً ٠٠ وقال: إننى متأثر جداً

باكتشاف هذه الحقيقة العلمية فى القرآن الكريم!! ٠٠

- يراجع كتاب ٠٠ الألة المادية على وجود الله ٠٠ لفضيلة الداعية الإمام الشيخ

محمد متولى الشعراوى - القاهرة ١٩٨٩.

- والمكون الرئيسى للدخان الكربون والاكسيجين، والآخر من مكونات

الماء ٠٠ وبالماء والكربون كانت الحياة ٠٠ ودورة الكربون فى الجو الأرضى دورة

معقدة مؤثرة فى البيئة والمناخ الحياتى للأرض ٠٠ ولنا فى هذا الموضوع مبحث

لاحق إن شاء الله تعالى ٠٠ وليرسُخ لدينا أنه بالماء المنزل من السماء وبدخان

السماء كانت وتبقى الحياة فى الأرض ٠٠ وحتى الأجل المقدر للسموات والأرض!!

٥- إنشيا طوعاً أو كرها

- ومن دلائل القدرة الالهية! أن تؤمر السموات والارض بالإتيان طوعاً أو كرهاً، وتأتيا طائعتين.. وهذه القدرة والعزة، والاستنطاق الكلامي مع الاكوان.. والاستجابة والانصياع الاختياري من مفردات الكون تفرد بها الله خالق كل شئ: سبحانه وتعالى.. ذى العزة والجبروت.. رب واحد أحد لكون طائع..!!

٦- تزيين السماء الدنيا

- ويأتى فى آيات القرآن الكريم تزيين السماء الدنيا بمصابيح الكواكب.. وخلقت المصابيح الكونية هذه لتكون رجوماً للشياطين وحفظاً!!

يقول تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (الملك:٦٧:٥) و قوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ (الصافات:٣٧:٦)

- والسماء والسماء الدنيا مترادفتان، بحسب قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (الحجر:١٤:١٥)

- وسمائنا غازية التكوين، أغلبها أزوت وأوكسجين ٩٩٪، ١٪ بخار ماء وغازات أخرى، وهذا السقف يعلونا بألف كيلو متر، والارض تحتفظ بسقفها بجذب غازاتها بفعل الجاذبية الأرضية.. وسمائنا حافظة لغازات تكوينها ولغازات الغلاف الجوى كله، حافظة لنا من تأثيرات الأشعة الكونية الضارة ومن وقوع الشهب على أهل الارض.. فتقوم بتفتيت الشهب قبل أن تسقط على الارض، حافظة بفضل توزيعها العادل لحرارة الشمس فى الغلاف الجوى فيتولد السحاب والرياح، حافظة هى للحياة فى الارض بفضل نفاذيتها للضوء من الشمس والقمر والنجوم.. فإذا عنه الرؤية والتمثيل الضوئى والغذاء والكساء والتنفس.. محفوظة هى السماء بفضل الله، لا بفضل أحد..

﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ (الانبيااء:٢١:٣٢) !!

- وأما عن توزيعات النجوم والكواكب بين السماء والارض وعددها، فحديثاً سنة ١٩٨٨م، يقرر الفيزيائى الفلكى آدموند بيريشينفر بمعهد ماساشوتس

للتكنولوجيا أن المجرات فى عناقيد، وسرعات سلاسلها العنقودية المجرية نطاقها كبير وجاذبها عظيم. وتحدد مؤخراً أن المجرات الكونية مجتمعة على هيئة عناقيد تشمل ملايين الملايين موزعة بطريقة غاية وأية فى النظام والجمال!!! وهذا فى نطاق ١٠٪ (عُشر) الكون. وأما التسعة أعشار من باقى الكون ففيها يتمدد كوننا الصغير بكل مجراته ونجومه وشموسه وأقماره وأرضنا المتناهية فى الصغر!! ويقول جل جلاله: ﴿والسمااء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ (الذاريات ٤٧:٥١)!!

٧. السمااء متعددة فى الخلق

- ومعنى السمااء الدنيا فى الأيتين السابقتين مايفيد ضمناً أنها ضمن السبع سموات الواردة بسورتى فصلت والبقرة - بما يفيد السبع سموات. والسمااء فى القرآن الكريم قد تفيد ذات المعنى سبع سموات إعمالاً لقوله تعالى: ﴿فققضاهن سبع سموات فى يومين﴾ (فصلت ١٢:٤١)!!

= فالسمااء والسموات مترادفات. قال المفسرون: إن السمااء بالإنفراد تعنى جهة العلو والجمع سموات طباق.

= والمقطوع به علمياً الآن أن مكونات الكون فيما بين السموات والأرض من مجرات، وسدم، ونجوم، وأقمار، وكواكب، ونيازك، وشهب لاتقع تحت سقف واحد، أو على سطح بذاته. فقباب السموات متعددة تعدد ورودها فى آيات القرآن الكريم بالسبعة، أو بمضاعفاتها. والله أعلم!!

٨. الرتق والفتق فى القرآن

- سألت ابنتى: ماذا عن الفتق والرتق والانفجار العظيم!!
- قلت: يا بنيتى! الرتق معناه الوصل والانضمام، أما الفتق فعكس ذلك ومعناه الفصل والتباعد. ويقال رتق الفتق حتى إرتق، ولنقرأ ﴿كانتا رتقا﴾. ورتقا معناه الوصل والالتصاق ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء ٣٠:٢١)

- ولنتأمل حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. سابق الإشارة إليه. والذي يتفق تماماً والآية الكريمة. من حيث أصل التكوين للسموات والأرض من

تربة واحدة، بغض النظر عن حالات اليبوسة والسيولة والغازية.. حيث ورد في الحديث.. عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾.

مسند الإمام أحمد، وصحيح مسلم.. الحديث رقم: ٣٢٣٥ في صحيح الجامع.

- سبحانه الله!.. خلق مرتوق التربة (السموات والأرض) مفقوق الأجواء التى تفصل بينهما.. خلق الله كل شئ في ستة أيام.. خلق التربة (السموات والأرض) وخلق ﴿ما بينهما﴾ ومن بينهما.. وهذا الخلق البينى لايتأتى إلا بعد الفتق!!.. في ستة أيام من أيام الدنيا!!.. ورد ذلك في سبع آيات قرآنية هي:

١ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف:٧٤)

٢ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنك اللهم ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس:٣١)

٣ ﴿هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد:٥٧)

٤ ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود:١١)

٥ ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ (السجدة:٣٢)

٦ ﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ (الفرقان:٢٥)

٧ ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ لغوب: إعياء وتعب (ق:٥٠:٣٨)

- فخلق (السموات والأرض) في ستة أيام ورد متفرداً في أربع آيات، وورد

ضمنياً في السبع آيات:

١. ﴿إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)

٢. ﴿إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٣١)

٣. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: ٥٧)

٤. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (هود: ١١)

- وخلق ﴿ما بينهما﴾ ورد ضمنياً في الستة أيام في ثلاث آيات متفردة من السبع آيات الخلق الكونية القرآنية السابقة:

١. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: ٣٢)

٢. ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩)

٣. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسْنَاهُ مِنْ لَغُوبٍ﴾ لغوب: إعياء وتعب. (ق: ٥٠: ٣٨)

- وهذا الورد التضميني يقطع بأن الرتق والفتق تم أيضاً وضمناً في ستة أيام الخلق الأول. النشأة الأولى. والله أعلم!!

- بمعنى أن السموات والأرض فُتِّقَتَا في ضمنية الستة أيام فكان (الانفجار العظيم) وكان خلق ﴿ما بينهما﴾ ومن بينهما. والله أعلم!!

- ويرجع الدارسون لأصل الكون أن بداية التكوين جاءت مع الفتق، الانفجار العظيم! وأورد القرآن الكريم وصف الانفجار العظيم في الرتق والفتق الكوني منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة. فالرتق لغة يفيد الوصل والاتحاد. وهذا هو بدء الخلق كما صوره الحديث الشريف وصورته آيات التنزيل. والفتق يفيد الانفصال القهري. ولما كان الأمر متعلقاً بالسموات والأرض. وبحجمهما الذي لا ندركه.

فلا بد وأن يتم الفتق بدوى عظيم حقاً!!

- والسماء المرتوقة يلزمها الرفع والدفع عن الأرض، وإلا لعاد الرتق، ويكون الدمار، فالثقوب السوداء الجاذبة فى الفضاء، تجذب كل مفتوقات الكون.. ونرجع إلى حيث النشأة الأولى.. وتأملوا يا أحياء قول الله تعالى:

﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ (فاطره٣: ٤١) ..

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجري فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ (الحج ٢٢: ٦٥)

٩- السماء مرفوعة بعهد لانراها!!

- عادت لتسأل: وماذا عن رفع السموات، وماذا عن عرش الرحمن فى القرآن؟!

- أجبت بقول الله تعالى: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم ببقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد ١٣: ٢)

- وإن رفع السموات بغير عمد ترونها، معناه أن السموات مرفوعة وبعمد لانراها، والنص القرآني تحتل أمرين:

أولاً: أنه لا عمد قط عليه نقف عند ﴿بغير عمد﴾ ..

والثاني: أنها ذات عمد منذ نشأة خلق السموات والأرض.. ونقرأ ﴿بغير عمد ترونها﴾ .. وكونها ذات عمد فهذا أمر توصل إليه العلم الحديث، وأنبأ به القرآن الكريم، منذ أكثر من ١٤ قرناً.. حيث ورد فى أبحاث الفضاء كشف الخيوط الكونية التى تربط عناصر الكون. وباكتشاف الخيوط الكونية تمكن العلماء من تحقيق طبيعة هذه الخيوط، والتى تماثل الأعمدة.. وعرفوا عنها طبيعة مارتها، وخواصها، وكثافتها - بقياسات علمية دقيقة. وهذه الخيوط تصل الأرض والكواكب والنجوم، بالسموات العللا.. لكن أعمدة السماء ليست من هذا النوع من الأعمدة الذى يشبه أعمدة المباني من المواد الإنشائية أو المعدنية.. فسبحان الله العظيم!!

- والبناء والرفع للقبه السماوية الكونية أمر عظيم الشأن حقاً.. يقول تعالى:

- ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاهها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال

أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات ٢٧: ٣٣)

يأتى مع هذا البناء العظيم الرفع الأعظم، وتتوالى الأزمان .. الليل والنهار، وتدحى الأرض وتتكور، ويخرج الله منها الماء والمرعى، متاعاً للبشر وللأنعام، وأرسى الله الجبال حتى لا تختل الأرض، أو تميد .. فتهلك .. ويهلك من عليها!!
وخلق السموات سبعاً طباقاً .. وهو ما يفيد السبعة، أو يفيد التعددية كما أسلفنا .. وخلق الأرض سبعاً مثلهن. أى أن الأرض، منذ النشأة - متعددة العدد .. ومتعددة الطبقات، بمعنى تعددية فى الأرض، وتعددية فى طبقات كل أرض .. فتعددية الطبقات الأرضية أمر توصل إليه العلم الحديث، أما تعددية الأرض ككوكب فأمر لازال فى علم الله ؟!!

ومن أقوال العلماء: والفرق بين بناء السماء وبنيان الخلق أن بناء السماء بلا فواصل ولا لبنات وهذا عمل إلهي لا يتسنى للبشر مثله وعمل الناس فى المباني وضع حجر يلتصق به آخر ولا يسمى هذا بناء بل يسمى بنيان إنه بنيان قد يخر ساقطاً. وفي هذا قوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف ٤: ٦١)!!

١٠. الاستواء على العرش

- ويأتى الاستواء على العرش وتسخير الشمس والقمر وجريهما لأجل مسمى بتدبير الله سبحانه وتعالى. والاستواء على العرش هنا استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، كما هو مذهب السلف بقول الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وقال الإمام أحمد: إخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل فلا يقال: كيف ؟! ولم ؟! نؤمن بأن الله استوى على العرش كيف شاء، وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحدها حاد. نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونوكل الكيفية فى الصفات إلى علم الله عز وجل. وقال القرطبي : لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته!! ﴿ليس كمثله شيء﴾!! يقول تعالى: ﴿إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذن ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس ٣: ١٠)

- وقوله تعالى: ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر

بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً (الطلاق ٦٥: ١٢)

١١. وكان العرش على الماء

- والماء جوهر بسيط. من طباعه أن يكون بارداً رطباً مشغافاً متحركاً إلى المكان الذي تحت كرة الهواء وفوق الأرض (ابن سينا - تسع رسائل). والماء عنصر في الفلسفة القديمة وهو أيضاً أصل في القرآن الكريم، كان منه كل شيء حتى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وفي البداية كان العرش على الماء ﴿وكان عرشه على الماء﴾، مما يفيد سبق خلق الماء لخلق السموات والأرض، حيث لفظ ﴿كان﴾ يفيد المغايرة والحال كذلك فخلق العرش وخلق الماء بداهة سابقة لخلق الكون!!

- ويقول تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود ١١: ٧)

- والماء في القرآن الكريم كان منه كل شيء حي، حيث قال تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء ٢١: ٣٠)

- ولا تخلق الحياة الكونية إلا في وجود الماء بمكوناته الأساسية: الأيدروجين والأكسجين. وهذا ما تأكد لعلماء الفضاء والطبيعة والفلك. وكان للقرآن سبق في هذا منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، حقاً إنه الإعجاز الإلهي للقرآن الكريم!!

١٢. بدء الحياة الكونية في القرآن

- قلنا أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات ورفعها بعمد غير مرئية، لكنها وبالمَنطق عمد من الأعمدة الكونية، لانراها بالعين المجردة، وهذه هي طبيعة الخيوط الكونية. وألقى في الأرض رواسب. والإلقاء يفيد أن الرواسب والجبال هي إضافات بإلقاء من الله سبحانه وتعالى من العلياء إلى الأرض. فإما أنها من نيازك السماء، أو من براكين الأرض. وحكمة خلق الجبال على الأرض

حتى لاتتهز الاخيرة، ولاتختل!.. فيهلك اهتزازها وميدها ما عليها ومن عليها!.. والبراكين تتفجر من باطن الارض وتقذف مافي باطنها الى اعلى وبارتفاعات كبيرة ثم من هذا التراكم البركاني تتكون الرواسى والجبال!.. وهذا أيضاً إلقاء من سماء، بحسب أن السماء لغة هو كل ما علا الارض!..

- وبث الله سبحانه وتعالى فى الارض من كل دابة، والدابة هى كل مايدب على الارض من زواحف وحشرات وحيوانات. وأنزل الله تعالى الماء من السماء إلى الارض، فأنبث فى الارض النباتات والدواب أزواجاً!.. حيث يقول تعالى: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان ١٠:٣١)

والبداية فى الخلق زوجية متفردة ﴿ومن كل خلقنا زوجين﴾.. زوجين من كل دابة، ومن كل نبات، والانبثاق فى الارض، والإخراج منها، من كل زوج!.. ذكر وأنثى!.. وهذا ماقد يفيد ويفهم منه أن الخلق والبث سماوى فى النشأة!، أما التكاثر الحياتى فأرضى فى التكاثر!.. والله أعلم!!

وتبدأ الحياة فى كوننا بأن خلق الله مخلوقاته خلقاً متميزاً من :طيور، وحشرات، وحيوانات، ونباتات بعضها قابل للتهجين والبعض لا!.. ومع نشأة الحياة فى الكون من خلق الله، وبلا أزلية ولا نشوء وتطور وإرتقاء!.. وهنا تتراجع وتسقط نظرية النشوء والإرتقاء لدارون!.. ذات المضمون الاحادى!..

والسجود لله عام فى السموات والارض، ومن كل الاحياء والدواب والحشرات والنباتات والملائكة!.. وهذا ما قد يفيد ضمناً بوجود حياة فى الكواكب الأخرى!.. حيث قال تعالى: ﴿ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ (النمل ١٦: ٤٩)

١٣. آية خلق آدم وخلق الإنسان

- سألت ابنتى: وماذا عن آية خلق آدم فى القرآن والسنة!؟

- أجبت: يابنتى! إذا أردنا أن نعرض لآية خلق آدم، وخلق حواء، وتتابع التكاثر الزوجى لذرية آدم يلزمنا إستعراض التصنيف الموضوعي من نصوص القرآن والسنة!.. ثم نستعرض يابنتى! خلق الانسان فى العلم الحديث!.. وبهذا نلمس آية إعجاز خلق الإنسان!.. بدءاً من بداية الخلق ﴿من منى يمنى﴾.. مروراً

بالولادة.. ثم الرضاعة!..

ولقد شغل بال العديد من علماء العالم من غير المسلمين كيف يورد القرآن.. ككتاب من الكتب القديمة.. (على حد تعبيرهم).. حقائق علمية مذهلة!.. ففى حين نزل القرآن فى بيئة صحراوية!.. على رسول أمى!.. فى زمان لم يكن العلم فيه على مستوى من التقدم!.. وينقل عن هذا الكتاب أدق التفاصيل التى تقطع بأن القرآن الكريم منزل من عند الله سبحانه وتعالى!..

= هذه يابنيتى ! قولتهم !.. وهذه آراؤهم !.. والتى جهر بها العلماء المبرزين للعالم أجمع !..

وما عُرِضَ على علماء الغرب من السنة النبوية المشرفة، فى شأن ما أوردته علوم السنة، فيما يخص الخلق الجنينى للإنسان - جعلهم يقررون، فى عظمة العلماء، وبمنطق التسليم - أن علم محمد ﷺ - إنما هو تنزيل ووحى من عند الله تعالى!..

وحين سئل البعض من علماء الغرب ما موقفه من الإيمان بمحمد !.. وما موقفه من المسيحية !..

أجابوا: (إن محمداً وعيسى من مدرسة واحدة).. وهذا جوهر لمعانى سامية!.. ومن نماذج هؤلاء العلماء البروفسور كيث مور، والبروفسور مارشال جونسون، والبروفسور جولى سامسونج، والبروفسور بارتان!..

= نعرض لآيات الرضاعة وفوائدها من حيث هى غذاء وتطعيم للطفل فى آن واحد، فى ذات الوقت تتحقق للام فائدة مقابلة وهى إنقاص الحيض وسهولة إنكماش الرحم، وأما النظرة التى لا توصف ولا تقدر فهى تلك المتمثلة فى العلاقة المضطربة من الام والوليد - علاقة الامومة والبنوة!..

= ونورد يابنيتى ! الإشارات فى الآيات القرآنية التى تعرض لجسم ولبدن الإنسان.. ونختم بالآيات القرآنية التى تعرض للروح عامة، ولروح الإنسان خاصة !! وإذا كان الإنسان كمخلوق متميز مكرم من الله سبحانه وتعالى على الوجه والهيئة المتفردة التى خلقه الله عليها لخلافته فى الأرض.. آية التكريم فى الخلق جسمه، وبدنه.. المتعدد النعم.. بأزواج وأفراد فى النعم والتكوين، وروحه، ونفسه، وعقله!..

- والروح يابنيتى ! من خصوصيات الذات الإلهية.. ونعرض للنفس من حيث أنها من متممات الذات الإنسانية!.. وعلى هذا فنعرض لخلق الإنسان فى ثلاث !!
أ - آية خلق الإنسان فى القرآن.

ب - الروح والانسان فى القرآن.

ج - النفس والانسان فى القرآن.

٠١ خلق آدم فى القرآن.

٠٣ خلق ذرية آدم فى القرآن.

٠٥ تسخير السمع والابصار والافئدة.

٠٧ إعجاز خلق الإنسان والعلم.

٠٩ جسم الإنسان فى القرآن.

٠١١ إعجاز الجلد فى جسم الإنسان.

٠١٣ الغدد فى جسم الانسان.

٠٢ خلق حواء فى القرآن.

٠٤ خلق ذرية آدم فى العلم.

٠٦ إعجاز السمع والابصار.

٠٨ الحمل والولادة والرضاعة.

٠١٠ مكونات جسم الإنسان.

٠١٢ الخلايا طويلة العمر.

٠١٤ الوراثة والبيئة.

١٠١٣ خلق آدم

- سأل ولدى: وكيف كان خلق آدم !!

- أجبت: يا ولدى ! القرآن يجيبنا بتفصيلات دقيقة.. ويورد أن الله سبحانه وتعالى خلق سيدنا آدم من تراب، وقَدَّرَ معيشته فى كوكب الأرض، وسخر له، ما فى السموات، وما فى الأرض، وما بينهما!! وفى شأن خلق سيدنا آدم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٧:٣٢)

وأنبأ الله سبحانه وتعالى الملائكة بهذا الخلق الطينى.. حيث يقول تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (ص: ٣٨: ٧١)

وأنبأ سبحانه وتعالى الملائكة أن صلصال خلق آدم.. من حمأ مسنون.. حيث

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* إِذَا سُوِّيتِ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ

أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ* قَالَ لَمْ

أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجره ١/ ٢٨: ٣٣)

ويتلاحظ هنا يا ولدى ! أن الملائكة لم تسأل عن الروح.. فى حين أن البشر

تشغلهم هذه المسألة.. ﴿ويسألكونك عن الروح قل الروح من أمر رَّبِّى وما أوتيتم

من العلم إِلَّا قَلِيلًا﴾

ويتجاوز إبليس حدود العبودية لله سبحانه وتعالى فيقول متجاوزاً:

﴿أُأَسْجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء: ٦١)

وإبليس من الجن يطيع ويعصى ٠٠ ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: ٥٠) ٠٠ ﴿إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (طه: ١١٦) ٠٠ واستكبر ٠٠ وكفر ٠٠ ﴿إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤) ٠٠ لأنه الوحيد لم يكن من الساجدين ٠٠ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف: ١١) !!

وينبئه المولى سبحانه وتعالى: ﴿مَأمَنُكَ إِلَّا تَسْجُدْ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴿(الأعراف: ١٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين* قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون* قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ (الحجر: ٣١: ٣٥)

والأمر هنا يا ولدي ! لا يقف عند حد خلق آدم ٠٠ بل يتعداه إلى تسخير السمع والأبصار والأفئدة ٠٠ حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ﴾ (السجدة: ٩: ٣٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٨: ٧٨) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ الْآبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ﴾ (الملك: ٦٧: ٦٧)

وإن استخلاف الله سبحانه وتعالى لآدم، والإخبار بإنباء الملائكة بهذا، هي من بدايات وبديهيات الخلق البشري المُتَقَرِّد، المُكْرَّم في الخلقة والحياة الكونية، وقوامه إطلاع الملائكة، مخلوقات الله النورانية عالية القدر، المسخرة العابدة الطائعة ٠٠ حيث يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتُبْتَوْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٠: ٣٤)

ويقول العلماء: هذا ولسيدنا آدم طوران:

الأول: قبل النبوة وفي هذه الفترة أكل آدم من الشجرة المحرمة وكانا إنساناً عادياً.

الثاني: اصطفاه الله للنبوّة بقوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾.

٢٠١٣ خلق حواء في القرآن

- يابنيتي! خلق الله سبحانه وتعالى حواء من آدم، لتكون زوجاً وسكناً له.. حيث قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف:١٨٩:٧٠) وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ (النساء:١:٤) وقوله تعالى: ﴿هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفتقون﴾ (الأنعام:٩٨:٦) وقوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ (الزمر:٦:٣٩).

- ويابنيتي! جدير بالملاحظة أن الله تعالى أنبأنا بخلق آدم.. ولم يخبرنا تفصيلاً بخلق حواء.. لكن أهل الكتاب زعموا أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر.. ونحن أمرنا ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لانص عندنا فيه!..

- ويخرج آدم عن أمر ربه، لحكمة حددها الله سبحانه وتعالى، لخلافته في الأرض.. حيث يقول الله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة:٣٥:٣٧).

والهبوط هنا يا أحباب! بمنطق آية طه ﴿اهبطا﴾ يكون الهبوط ثنائياً.. أما اهبطوا فالهبوط جماعي ثلاثي.. لآدم، وزوجه، وأبليس معهما.. ليقوم كل برسالته ووظيفته، وتتوالى الذريات، ذرية الإنس وذرية الجن، من بعد الهبوط.. ويبدأ التاريخ البشري بتدفقاته وتغيراته ٢٢ !!

ونقف يا ولدي! عند الإعجاز في خلق آدم من تراب كمثل يتحدى به الله سبحانه وتعالى العباد.. كآية من آيات الله الكبرى.. حيث يقول تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران:٥٩:٣) وقوله تعالى: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ (الكهف:٣٧:١٨) وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (الروم:٢٠:٣٠) وقوله تعالى: ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ (فاطره:١١:٣) وقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين

وحفدة ورزقكم من الطيبات أقبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴿النحل: ١٦﴾ ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢١) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ (الحجرات: ٤٩) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٥١) ٠٠

وبعد خلق آدم يا ولدي ! من طين كان خلق البشر، ومن ذات السلالة الطينية المتفردة، وجاء وبيىء نسل آدم وحواء من سلالة من ماء مهين ٠٠ والطين في أصله عبارة عن تراب وماء، ونفخت الروح لآدم، ولزوجته، وتنفخ لنسله - بأمر من الله سبحانه وتعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (الرحمن: ١٤) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر: ٢٦) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تموتون﴾ (الأنعام: ٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ (المؤمنون: ١٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ثم جعلنا نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة: ٣٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ (المرسلات: ٧٧) ٠٠

ويقول العلماء: أنبأنا الله تعالى بخلق آدم ولم يخبرنا بخلق حواء لكن أهل الكتاب زعموا أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر. ونحن أمرنا ألا نصدق أهل الكتاب، ولا نكذبهم فيما لانص عندنا فيه.

٣٠١٣ خلق ذرية آدم في القرآن

- سأل ولدي الأكبر: وماذا عن تكاثر ذرية آدم في القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدي ! التكاثر بالذرية الآدمية سنة كونية من سنن الله تعالى ٠٠ فبعد خلق آدم أبى البشر، وحواء أم البشر جميعاً ٠٠ جعل الله (أى سخر الله) الذكورة والانوثة لتكاثر الإنسان، وأصبح وهب الحياة، أمراً إلهياً، يأتي به ملك بعد ٤٢ يوماً من الحمل، بنص حديث سيدنا رسول الله ﷺ ٠٠ ويقضى الإنسان وحتى أجله المقدر مع لحظة وهب الحياة ٠٠ وتتابع البشرية قوم بعد قوم من ذرية آدم متكاثرين منتشرين على سطح كوكب الأرض ٠٠ وأنظر إلى قوله تعالى:

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا

سجداً وبكياً ﴿مريم: ٥٨﴾ و قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢) و قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات: ٣٧) و قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنْ حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ (يس: ٤١) و قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ١٧) و قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٧) و قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨) و قوله تعالى: ﴿هَئِنَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨) و قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦) و قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٤) و قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٣) و قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٤، ١٢٦)

وتنقل يا ولدي ! السلالات البشرية بالنطف ٠٠ ومن ماء مهين ٠٠ من منى يمى ولنرجع إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: ٣٧) و قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (النحل: ٤) و قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٣٦) و قوله تعالى: ﴿مَنْ نَطْفَةٍ إِذَا تُمْنِي﴾ (النجم: ٥٣) و قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكْ نَطْفَةٌ مِنْ مَنَى يَمْنَى﴾ (القيامة: ٣٧) و قوله تعالى: ﴿مَنْ نَطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (عبس: ٨٠، ١٩)

٤٠١٢. خلق ذرية آدم والعلم

- سألت ابنتي: وماذا يقول العلم في خلق ذرية آدم ؟!؟
- أجبت: يابنتي ! العلم الحديث يقرر أن النطفة المنوية الذكرية ذات ٢٣

كرموزوم.. وهذا العدد، نصف الموجود في الخلايا الحية في الحيوانات، والنباتات.. ولا بد لها من أن تتحد مع بويضة أنثوية، وهي الأخرى ٢٣ كرموزوم.. أى لابد أن تتحد (تتماشج)، نطفة الرجل وبويضة الأنثى، ليبدأ الحمل للأنثى ببويضة ملقحة ذات ٤٦ كرموزوم، شأنها في ذلك شأن كل الخلايا الحية في الوجود.. سبحان الله.. يضاف يا ابنتي ! أنه لا تكاثر للإنسان إلا من رجل وإمرأة.. فسبحان الله العظيم.. وأنظري إلى قوله تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ (الإنسان ٢:٧٦)

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطره ١١:٣)

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المؤمنون ١٣:٢٣)

- ثم تصير هذه النطفة علقة في رحم الأنثى.. حيث قال تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوْى﴾ (القيامة ٣٨:٧٥)

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق ٩٦:٢)

ويتتابع خلق الإنسان.. فتخلق من العلقة مضغة.. وتخلق من المضغة العظام.. ويكسى العظام لحماً.. وتأمل يابنتي قوله تعالى:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون ٢٣:١٤)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنَقَرٍ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ إِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج ٢٢:٥)

والآية السابقة من سورة الحج توضح لنا يابنتي ! أن خلق المضغة له طوران.. مضغة مخلقة، ومضغة غير مخلقة.. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.. والقرآن الكريم.. معجز سابق لكل علم وبأربعة عشر قرناً من الزمان!

يضاف يا أحباب ! أن خلق الإنسان وحياته في اتجاه واحد، صاعد، غير مرتد.. من الولادة، وحتى الشيخوخة.. وهذا ما توصل إليه العلم الحديث أيضاً.. وتأملوا قول الله تعالى:

﴿ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا تعقلون﴾ (يس:٦٨-٦٩)

٥٠١٣- آية السمع والبصر والفؤاد !!

- سألت زوجتي: وماذا عن آية السمع والبصر والفؤاد في القرآن ؟
- أجبت: هي ثلاثة أسئلة في سؤال .. نجعل في البداية .. ثم نفصل بإختصار شديد .. فتعلمون يا أحباب ! أن الله سبحانه وتعالى خلق السمع والبصر والفؤاد، وسخرها للبشر، لعلهم يشكرون .. ولكن الإنسان ما أجده .. والخلق والإنشاء والتسخير الإلهي قرين التكليف بالارتفاق والانتفاع .. الانتفاع الذاتي أولاً، والمجتمعى ثانياً، والبشرى ثالثاً بكل إمكانيات السمع والبصر والفؤاد .. وأنظر إلى قول الله تعالى:

﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ (المؤمنون: ٧٨-٧٩)

وقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ (السجدة: ٩٠-٩١)

وقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل: ٧٨-٧٩)

وقوله تعالى: ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ (الملك: ٦٧-٦٨)

وقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (الإسر: ١٧-١٨)

وقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس: ٣١-٣٢) !!

١- إعجاز السمع !!

معروف يا أحباب ! أنه لولا اللغة لما وجدت حضارة .. واستعمال اليد والكلام ساعد كثيراً فى نمو العقل .. وتمتد الأجزاء العصبية المتممة لليد واللسان والحنجرة لتشغل مساحة كبيرة من حجم الدماغ .. فى ذات الوقت الذى تضبط فيه

المراكز العصبية للكتابة والكلام.. (ومنها السمع، وإمساء الأشياء.. والتصرف بها).. فإنها بدورها تثبته بهذه الأفعال وتقوي عمل الدماغ الذى يحدد لها عملاً متزامناً وفى آن واحد!!.. ويبدو أن عمل الدماغ يتلقى المعاونة من تناسق عمل العضلات.. كما يبدو أن التدريب الرياضى.. ينبه ويقوى الجسم.. وبالتالي ينبه ويحفز العقل!!.. (والمسلم به أن منظومة عمل المراكز العصبية - تعمل فى نسق مشترك.. فالأمعاء والعضلات والعمود الفقرى متناسقة من الناحية الوظيفية.. وتعتمد العضلات الهيكلية فى تعاونها على المخ.. وعلى العمود الفقرى.. وكذا على أعضاء عديدة.. إنها تتلقى أوامرها من الجهاز العصبى الرئيسى.. ونشاطها من القلب والرئتين وغدد الأندركين والدم.. ولكى تتمكن من تنفيذ توجيهات العقل فإنها تنشئ معاونة الجسم كله).. وألبد تعمل إذا وهبت نعمة البصر.. فالبد تحس.. وتعمل.. فى آن واحد.. وملخص القول العين مدرك الإبصار فيها للموجات الصوتية.. والبد مدرك الإحساس منها للطاقات الوضعية، وللطاقة الصوتية الترددية فى الأجسام، وللطاقات الحرارية بالحالة التى عليها الجسم الملموس.. والأذن مدارك الإحساس فيها للموجات الصوتية !! وتأتى الموجات الصوتية فى ذبذبات الهواء إلى الجهاز شديد التعقيد للأذن الداخلية والأذن الوسطى وينقل الصوت إلى مركز الإحساس فى منظومة العقل البشرى !!

وفى هذه الجزئية علينا بالتسليم بأن العين، والبد، والأذن، واللسان - أشياء غير متجانسة من الناحية التشريحية.. ولكنها متجانسة من الناحية الفسيولوجية فيما يخص الإدراك والإحساس ويترجم الدماغ والقلب (الفؤاد) هذه المدارك والاحاسيس إلى أشياء معقولة ومفهومة ومتفق عليها بشرياً !!

ومن الإعجازات الكونية العامة ببساطة الوظائف - سمعاً وبصراً وإحساساً وتعقلاً: تفتقر دائماً بقاعدة معقدة، وهذه من بديهات الملاحظات الكونية فى كون الله الفسيح فى الذرة.. وفى المجرة.. فى النبات.. وفى الحيوان.. وفى الإنسان ذاته!!.. (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات ٢١:٢١) !!

ويذهب الأستاذ رمزى الغنيمى فى كتابه.. (منظومة العقل البشرى) - كتاب الحرية ٢٩ - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٩١م.. شارحاً تعريف العقل ذاكرةً أن.. (العقل) إنما هو نظام حيوى أو مجال حيوى عليه القدرة على الوعى بما يدور حول مركزه الحيوى (المخ) الذى يسيطر على (المجال) ويعمل على الحفاظ على توازنه

الحيوى وبقائه» ويضع أ. رمزي الغنيمي نموذجاً لمجال نشاطات مجال العقل البشرى من سبع مدارات حول المخ وهي:

- ١- مدارات التجسيم (الجسم والمحسوسات).
- ٢- مدارات التفكير (التأمل والتركيز والاستبطان).
- ٣- مدارات العاطفة والوجدان.
- ٤- مدارات الخيال والجنون.
- ٥- مدارات النسيان (المخازن الأساسية للذاكرة).
- ٦- مدارات الغيبوبة (النوم والأحلام).
- ٧- المدارات المفتوحة أو القناصة (نافذة على المطلق).

والسمع والبصر والإحساس تنطوى تحت مدارات التجسيم لكنها تعمل فى توافق تأثيرى مع بقية المدارات المجالية للبشر!!
ويعالج القرآن الكريم النشاط البشرى فى مجمل المحسوسات السمعية المرتبطة بالعقل البشرى ونشاطاته فى إشارات قرآنية:

﴿إقرأ﴾ .. ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ .. ﴿استمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ .. والنداءات القرآنية على تنوعها .. ﴿يا أيها الناس﴾ .. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ .. ﴿يا آدم﴾ .. ﴿يا (.....)﴾ .. ﴿يا بنى آدم﴾ .. ويورد القرآن كذلك لبعض المحسوسات البصرية المرتبطة بالعقل البشرى فى الإشارات القرآنية: ﴿ألم تر؟﴾ .. ﴿ألم يرو؟﴾ .. ﴿أنظر؟﴾ .. ﴿سيروا فى الأرض وانظروا﴾ .. ﴿اسمع به وابصر﴾ .. ﴿أفلا تعقلون؟﴾ .. ﴿أفلا يتدبرون؟﴾ .. ﴿أفلا تتفكرون؟﴾ .. ﴿أفلا تتذكرون؟﴾ .. ﴿أفلا تذكرون؟﴾ .. ويربط القرآن الكريم وفى أحكام بديع بين السمع والبصر والفؤاد .. وبين العلم .. فى قول الله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ ..

بمعنى أن جميع النشاطات العقلية التجسيمية والفكرية والخيالية والعاطفية والتعليم والتعلم وإدراكات الضُخْوَ والرؤى المنامية .. كل ذلك رهين .. بالسمع، والبصر، والفؤاد .. وهذه حقيقة لا مراء فيها!!

٢- إعجاز الإبصار!!

ويعرض الأستاذ محمد عبد القدوس فى كتابه الإسلام فى حياتنا الحديثة ..

العديد والكثير من الآراء للمتخصصين^{١١} نعرض لبعض منها ١٠٠ فى ست خصوصيات:

- ١ - هذب العين.
- ٢ - جفن العين.
- ٣ - دموع العين.
- ٤ - قرنية العين.
- ٥ - قزحية وحدقة العين.
- ٦ - عدسة العين.

١- هذب العين والفوائد - حيث يقول: « هذب العين (الرموش) تقوم بقطع الضوء الجانبي ومنعه من الوصول للعين، فالضوء المباشر هو الذى يصل فقط، وهو الذى يشكل الصورة !!

ولولا رمش العين لدخل إليها الضوء القادم من جميع الاتجاهات - مما كان يؤثر على كفاءة الصورة ويسبب عدم وضوح تفاصيلها !!

٢- ويعرض لمعجزة حركة جفن العين حيث يقول الدكتور أسامة عصفور: «... إن إغلاق العين وفتحها... والذى يتم بطريقة أتوماتيكية له فائدة كبيرة، متمثلة فى مسح السطح الخارجى للعين من أية أتربة وشوائب... وتوزيع طبقة رقيقة جداً من السائل الدمعى على السطح الخارجى للعين لمنع جفاف الطبقات السطحية للعين مما يحافظ على بريقها ولمعانها وبالتالي يؤدى إلى تحسين البصر) !!

٣- ويقول الدكتور أسامة عصفور فى شأن الدموع: (إنها نوعان: داخلية وتفرزها العين، وبانتظام - وهى أجسام مضادة وأنزيمات - وتقوم بقتل معظم الميكروبات والفيروسات التى تصيب العين، بالإضافة إلى دورها فى تنظيف العين والحفاظ على بريقها. ونقص إفراز الدموع الداخلية يسهل الإصابة بعدوى أمراض العين. والدموع الخارجية لا علاقة لها بالدموع الداخلية دائمة الإفراز - بل هى الدموع التى تنشأ عن الانفعالات النفسية مع البكاء وتسقط على الخد !!)

٤- والقرنية وهى الجزء من العين الذى يطل منه الإنسان على العالم، وهو جزء شفاف، ولا تحتوى على أوعية دموية، وهى الجزء الوحيد فى الجسم الذى لا يتغذى أساساً من الدم، ولكن تمتص القرنية غذاءها من السائل الدمعى الذى يغطى سطحها !!

٥- والقزحية تتحكم فى لون العين، عن طريق الصبغات الموجودة بالعين، وفى داخل القزحية توجد الحدقة والتى تضيق فتحتها مع الضوء المبهر. وعلى العكس، تتسع فتحتها مع الضوء الضعيف ليتمكن الإنسان من رؤية الأشياء بوضوح !!

٦- وعدسة العين فهى مكونة من ملايين الخلايا ٠٠ بقطر يصل إلى عشرة ملليمترات مثبتة بالعديد من الأربطة تحفظها فى مكانها، وبهذه الأربطة يتم تغيير البعد البؤرى ليتمكن الإنسان من رؤية الأشياء القريبة والبعيدة !!
ونعرض فيما يلى لرأى الدكتور أيمن نصار والوارد بكتاب الأستاذ/ محمد عبد القدوس - سابق الإشارة إليه - بالصفحات ١١٤: ١١٧ وتوجز فى التالى:

١- عملية الإبصار تعتمد على عصبية الشبكية - وخلاياها تختلف إختلافاً كلياً عن خلايا الجسم الأخرى - وهى أشبه بالمرآة.

٢- خلايا الإبصار فى الضوء القوى ٦ مليون خلية، وخلايا الإبصار فى الضوء الضعيف ١٢٠ مليون خلية - فإذا جلست فى حجرة مظلمة تستطيع الرؤية النسبية بعد عدة دقائق بفضل خلايا الإبصار فى الضوء الضعيف.

٣- وظيفة العين والمخ - فى خصوبة الأبصار - متلازمتان، ومرتبطنان بالعصب البصرى، كل عين تعمل مستقلة، وفى خلال واحد على مليون من الثانية يقوم المخ بتعديل الصورة المقلوبة!! ويضعها فى شكلها المعدل، ويقوم أيضاً بدمج صورتى العينين فى صورة واحدة - وهى التى نراها!!

ومن هنا فإن العلاقة وثيقة بين طبيب العين وطبيب الأعصاب، وإن أى خلل يصيب المخ يؤدى إلى فقد البصر نهائياً، ورغم سلامة العين!!

٤- شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يقع الضوء الداخلى إلى عين الإنسان فى بقعة لا يزيد حجمها على واحد على عشرة من المليون من الشبكية. وعلى هذه المساحة المتناهية فى الصغر تسقط صور جميع الأشياء التى نراها. وتسقط مقلوبة طبعاً!!

٥- حساسية الشبكية مقصورة على التقاط ألوان الطيف فى قوس قزح، أى بأطوال بين ٠.٨ ميكرون، ٠.٤ ميكرون - ٠٠ الميكرون - وحدة قياس طولية وتساوى واحد على الألف من المليمتر من (٠.٨ ميكرون للأحمر) الى (٠.٤ ميكرون للبنفسجى) ٠٠، وأما موجات التليفزيون والراديو والأشعة فوق الصوتية والأشعة البنفسجية فلا قبل للعين برؤيتها. وهناك غيبيات لا نراها رغم وجودها!!

ويضيف الدكتور معتز محمد مراد المرزوقي في مباحث العلم في رحاب القرآن - المؤتمر الأول للإعجاز العلمى فى القرآن ١٩٨٥م ١٠
السمع يبدأ مع الجنين قبل ولادته وقبل أن تبدأ الحواس الأخرى.
السمع هو الحاسة الوحيدة التى لا تنام بالكلية الكاملة مستدلاً بذلك بالورود
القرآنى فى شأن أهل الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً).
الأذن تحول طرقات وذبذبات الأصوات إلى موجات هادئة.
وهذه الموجات تحرك أوتار نهاية العصب السمعى، ذو الإتصال الفوقى بالمخ.
إكمال خلق وعمل العين يتم بعد ولادة الطفل بشهور.
من تمام النعم الإلهية توافق عمل حاسة البصر وحاسة السمع مع الوعى الكامل
للفؤاد - مخاً وقلباً وعقلاً وتنشأ عند الإنسان المعلومة الدقيقة المدققة من
واقع الحياة والكون.
الفؤاد - المخ والقلب والأعصاب - مسئول عن حفظ المعلومات واسترجاعها
سواء بالرغبة أو بالموقف أو بالحديث. ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾
جاء ترتيب السمع قبل البصر فى القرآن قرين الترتيب النضوجى - فالطفل يولد
وحاسة السمع كاملة، ولكنه يبصر بعد عدة شهور من الولادة. والفؤاد ينضج
مع مرور الزمان وعلى مدى حياة الإنسان.!!
وكما أن لأصابع الإنسان بصمة البنان تميزه عن أخيه الإنسان. فى ذات الوقت
فإن لعين الإنسان وفى سوادها بصمتها. التى تميز الإنسان. عن أخيه
الإنسان!! سبحانه الله العظيم. بصمة بنان!! وبصمة عين!! وبصمة صوت!!

٧٠١٣. الإعجاز الطبى للإنسان !!

- سأل ولدى: وماذا عن الإعجاز الطبى للإنسان فى القرآن والعلم والسنة ؟!
- أجبت: مهلاً.. مهلاً.. يا ولدى ! وأستاذنكم أحبابى أن أقصر الإجابة على
الإعجاز فى مرحلة الحياة المبكرة للإنسان: وهى مرحلة الخلق الجنينى. على
موعد أن أستكمل الإجابة فى كتاب قادم بإذن الله تعالى. وأضع تحت تصرفكم
رصيد هائلاً من المعلومات متمثلة فى العديد من المراجع، ومجموعة هائلة من
شرائط الفيديو العلمية، ومجموعة لا بأس بها من برامج الكمبيوتر. التى

تعالج في مجموعها سؤالك يا ولدي !!

= نختصر فنعرض للإعجاز العلمي الجنيني للإنسان، والذي تعرض له أساتذة التخصص بالمؤتمرين السعوديين السابع والثامن للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ونوجز عن أعمال مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن - بحوث السادة:

١ - البروفسور كيث. ل. مور: أستاذ التشريح وعلوم الأجنة، بجامعة مورداو بكندا.

٢ - البروفسور ماريشال جونسون: رئيس قسم التشريح، ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون، بأمريكا.

٣ - البروفسور جولى سامسونج: أستاذ أمراض النساء والولادة، جامعة مارت وستن، شيكاغو، أمريكا.

٤ - البروفسور بارتان ت. ف.: رئيس قسم التشريح، بفينتويا، بكندا.

٥ - البروفسور جوريل ج. س.: أستاذ التشريح، كلية الطب، جامعة جورج تاون، واشنطن، أمريكا.

إعجاز خلق الإنسان في بحوث علماء الغرب

١. بحوث البروفسور كيث مور K. MOORE

يعتبر البروفسور كيث ل. مور يا ولدي ! من أكبر علماء العصر في مجال علم الأجنة والتشريح، وقد أبدى دهشته حين عرف بالآيات القرآنية التي تتحدث عن النطفة والعلقه وحينما رأى د. مور العلقه، والتشابه بينهما وبين الجنين قال إن ذلك التشابه متطابق تماماً مع ما عرفناه حديثاً في علم الأجنة. ويضاف إلى ذلك أن مور تأكد معملياً أن الجنين في مرحلة العلقه يكون معلقاً في رحم الأم. وإن الأمر الأكثر إثارة هو أن العلقه في لغة العرب هي الدم المتجمد (بقاعة الدم!! يقول الامام على كرم الله وجهه) وهذا يقرر البروفسور كيث مور أن الجنين في الرحم يكون عبارة عن دم متجمد عالق !! وحين تكاملت له المعرفة بما جاء بالقرآن والسنة عن أن العلقه تتحول إلى مضغه. وتتبع العالم المبرز ذلك فوجد فعلاً أن الجنين في الطور الذي يلي العلقه يشبه تماماً المضغه. ونشر ذلك في الصحافه الكنديه وسئل في أعقاب النشر. هل هذا يعنى أنه ترك المسيحية ودخل الإسلام؟؟ وَرَدَّ البروفسور مور بأن المسيح ومحمد من مدرسة واحدة!! ولما سئل كيث مور لماذا لا ينشر هذه الآراء في كتبه !!

كان البروفسور كيث مور عالماً.. صادقاً.. حيث أصدر الطبعة الثالثة من مؤلفه.. بالإضافات الإسلامية.. تحت العنوان التالي:

DEVELOPING HUMAN, CLINICALLY ORIENTED EMBRYOLOGY, KEITH. L. MOORE. WITH ISLAMIC ADDITIONS.

والكتاب يا ولدي ! مترجم إلى ست لغات: الأسبانية، والإيطالية، والروسية، والصينية، واليابانية، والألمانية، وورد بالكتاب المذكور مايلي:

(العصور الوسطى : كانت معلوماتنا من علم الأجنة في العصور الوسطى قليلة.. وفي القرآن الكتاب المقدس عند المسلمين - ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات للذكر وللأنثى.. وقد وردت جملة إشارات من أن الإنسان يخلق من نطفة من المنى.. وبين أيضاً.. أن النطفة تستقر في المرأة بعد ستة أيام.. واتضح علمياً أن البويضة الملقحة تبدأ في النمو بعد ستة أيام من الإخصاب.. وجاء في القرآن الكريم أيضاً أن النطفة تتطور.. فتصبح قطعة من دم جامد عالق.. والبويضة المُلَقَّحَة بالشكل(٣:٥) والرسم لا يختلف عن شكل العلقَة.. التي جاءت في الوصف القرآني.. ويذكر القرآن إلى أن مظهر الجنين في هذه المرحلة يشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان، أو كالخشب.. ويوضح ذلك في الشكل ١٠:٥ وفيها آثار لاسنان.. كأنها ممضوغة.. والجنين بعد ٤٠:٤٢ يوماً لا يشبه جنين الحيوان في هذه المرحلة - لأن الجنين البشري يبدأ باكتساب مميزات الإنسان في هذه المرحلة.. كما هو مبين بالشكل ١٤:٥)، ويضيف البروفسور كيث مور في كتابه: (٠٠) ويقول القرآن الكريم أيضاً أن الجنين يتطور داخل ثلاث حجب بظلمات ثلاث أو ثلاث طبقات:

الجدار الرحمي البطني.

الجدار الرحمي.

الغشاء الداخلي.

ولايتسع المجال لمواضع هامة مشوقة وردت بالقرآن الكريم)٠٠ هذا ما ذكره د. كيث مور في كتابه العالمي !!

وما سبق هو ما أملاه عليه ضمير العالم الباحث يا ولدي !! وهو تطابق ماورد في القرآن والسنة وما توصل إليه بعلمه.. في خصوصية التقسيم المرحلي لخلق الإنسان.. نطفة، فعلقة، فمضغة، فعظام، فتكسية العظام لحماً !!

ويقف البروفسور كيث ل. مور ليذكر في أحد المؤتمرات العلمية مايلي:
(٠٠) لأن مراحل تطور الجنين البشري معقدة.. وذلك بسبب التغيرات المستمرة

التي تطرأ عليه.. فإنه يصبح بالإمكان تبني نظام جديد في التصنيف باستخدام الإصطلاحات والمفاهيم التي ورد ذكرها في القرآن والسنة.. ويتميز النظام الجديد لتقسيمات مراحل خلق الإنسان بالبساطة والشمولية.. وينسجم ويتطابق مع علم الأجنة الحالي.. ولقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن وللسنة خلال السنوات الأخيرة عن تصنيف مدهش للأجنة البشرية.. لأن ذلك سجل القرن السابع الميلادي.. في حين أن علم الأجنة لم يعرف شيء عن تطور وتصنيف الجنس البشري إلا مع حلول القرن العشرين.. ولهذا السبب فإن أوصاف القرآن للأجنة البشرية لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع الميلادي.. والاستنتاج الوحيد المعقول هو أن الله قد أوحى بها إلى محمد ﷺ.. وما كان له أن يعرف هذه التفاصيل.. لأنه كان آمياً ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً؟! ﷺ..

وقد أضاف البروفسور كيث مور الآيات والأحاديث النبوية الشريفة إلى كتابه!
- وصدق قول الله تعالى: ﴿وَيُرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّهُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.. صدق الله العظيم.

٢. بهوت برونسون م. جونسون MARSHAL GOHNSON

- ويالدي! قدم البروفسور مارشال جونسون رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون بفلايديا بأمريكا في المؤتمر السعودي السابع بحوثه عن الوصف الدقيق للجنين ولتركيباته الداخلية.. وجاء بها مايلي:
(.. يصف القرآن في الواقع المراحل الخارجية للجنين وليس فقط هذا.. ولكنه يؤكد أيضاً المراحل التي داخل الجنين أثناء خلقه وتطوره.. مؤكداً على أحداث رئيسية.. تعرف عليها العلماء المعاصرون)!!

- وقدم صوراً علمية حديثة أخذت للجنين وهو مضغة.. وبطول سنتيمتر أخذ في الدوران حول نفسه.. برأس بقطر كبير من جهة ويتناقص القطر في الجهة الأخرى.. وأظهرت الصور التطور الخلقي للمضغة.. وذكر أن الوصف المصغى.. يصدق على المضغة المخلقة، والمضغة غير المخلقة.. وكما ذكر القرآن.. ﴿مِنْ مِزْجَةٍ مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ﴾.. وقال البروفسور مارشال جونسون:
(.. إنني كعالم أستطيع فقط أن أتعامل مع أشياء.. أستطيع أن أراها.. أستطيع أن أفهم علم الأجنة.. وتطور علم الأحياء.. أستطيع أن أفهم الكلمات

- التي تترجم من القرآن .. وكما ضربت لكم مثلاً من قبل .. فلو أننى نقلت نفسى - فرضاً - إلى الفترة التي نزل فيها القرآن .. وحتى بمعرفتى لما ذكرته اليوم .. وإذا أردت وصف هذا العمل !! لما استطعت وصف الأشياء التي وصفت بالقرآن .. وأننى لا أرى سبباً .. ولا أرى دليلاً على أن الرسول محمد الفرد - قد حصل على هذه المعلومات .. وطورها .. من أى جهة كانت .. ولذلك فإننى لا أرى شيئاً .. مع مفهوم أن التدخل الإلهى كان شاملاً للعلم الذى كان على النبى محمد أن يبلغه .. !!

- وقال مكرراً: (نعم إنه الوحى .. والوحى فقط من الله سبحانه وتعالى) !!
ونردد قول الله تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (ص: ٨٨) إنه الإعجاز الحق!!

٢. بهوت البروفسور ج. سامسونج G. SAMSUNG

- ويا ولدى ! يعرض البروفسور جولى سامسونج، أستاذ أمراض النساء والولادة، جامعة مارت وستن، شيكاغو، أمريكا، فى المؤتمر السعودى السابع، فى خصوصية خلق الإنسان فيقول:

(يخلق الانسان من النطفتين .. أى بعد إجتماع نطفة الذكر، وبويضة الأنثى .. وبعد ذلك يتقرر البرنامج الوراثى فى الكروموزات من لون العين، والجلد، والشعر .. فالإنسان مقدر فى مرحلة الكروموزات .. التى هى مرحلة النطف) !!
- وهذه المقولة تتطابق مع قول الله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره﴾ !!

- ويعود البروفسور جولى سامسونج ليقرر: (تظهر جميع أجزاء الجنين خلال الأربعين يوماً الأولى .. والجنين يكون منحنيًا على نفسه) !!

وهذا مايتفق وحديثى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:
١. قال رسول الله ﷺ: ﴿إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً .. ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، أجله، وعمله، وشقى أو سعيد﴾!!
(رواه مسلم فى كتابه القدر حديث ١، جزء ٤ ص ٢٠٣٦)

٢. وفى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ:
﴿إذا مر بالنطفة إثنان وأربعون ليلة .. بعث الله إليها ملكاً .. فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال يارب .. ذكر أم أنثى ..؟

فيقضى ربك ماشاء.. ويكتب الملك !! ثم يقول: يارب أجله ؟ فيقول ربك ماشاء.. ويكتب الملك !! ثم يقول يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ماشاء.. ويكتب الملك !! ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص!!
وفى الحديث الثانى.. حدد سيدنا رسول الله ﷺ .. التوقيت الزمانى.. دون إسترسال بتتابع الزمن.. بمدة ٤٢ يوما تحديداً.. حيث قال ﷺ: ﴿إذا مر بالنطفة ٤٢ ليلة بعث الله ملكاً فصورها﴾ !!

وبعد أن عرف البروفسور جولى سامسونج بالحديثين.. وهو متخصص فى أمراض النساء والولادة.. أعلن رأيه فى أحد المؤتمرات العلمية فى خصوصية التعليق على حديثى سيدنا رسول الله ﷺ !! قال البروفسور:
(من هذين الحديثين.. يمكننا إستخلاص جدول محدد حول التطور الرئيسى للجنين قبل ٤٠ يوماً.. ومرة أخرى تأكدت هذه النقطة تكراراً من قبل المتحدثين فى المؤتمر صباح اليوم - يوم المؤتمر - أى أن الموافقة العلمية الحديثة موافقة مطلقة مع الأحاديث النبوية الشريفة.. ناهيك عن المدة التى دونت وكتبت فيها تلك الأحاديث.. وبذلك لا بد لها وأن تكون - الأحاديث - قد دعت بالمعرفة الإلهية.. وهى تعكس المعرفة الإلهية!.. وعليه أعتقد أنه لا يوجد خلاف بين المعرفة العلمية الطبية والوحى الإلهى.. بل أن الوحى يدعم أساليب الكشف العلمية التقليدية المعروفة.. وبجىء القرآن وبعد سنوات من تاريخ الحديثين مؤيداً لما تطرق إليه الحديثان.. ويكشفه العلم المعاصر.. هذا مما يدل على أن القرآن كلام الله.. والأحاديث المحمدية وحى من عند الله) !!

حقاً.. يستطيع المسلمون أن ينزلوا العلم منزلته.. ويعملوا التكليف الإلهى الوارد فى آيات النظر فى القرآن.. ولو أرادوا.. ولو فعلوا.. لسادوا وتسيدوا!!

والقرآن حق وصدق.. منزل من الحق سبحانه وتعالى !!

✽ بحوث البروفسور بارتان ت. ف. PARTAN T.V.

- ياولدى ! يتميز البروفسور بارتان ت. ف، رئيس قسم التشريح، بفينتوبا، بكندا، ببحثه عن الحقيقة.. وهو حُرُ النزعة.. وله مؤلفات عديدة فى أمراض النساء والولادة.. وله بحوث قرآنية.. وفيها يقرر:
(إننى لأجد الحق فى أن أوافق فى عقلى الى أن هذا الهام إلهى، أو وحى

قار الرسول محمد إلى عرض القضايا بهذا الشكل.. وأضاف.. وبدراسة الحديث الشريف الذى رواه مسلم وفيه يقول.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا مرَّ بالنطفة إثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وجلدها وعظامها ثم قال ياربى أذكر أم أنثى فيقضى ربك مايشاء﴾. وأقرر أن: الصورة للجنين فى اليوم السابع والثلاثين لتمييز فيها للإنسان.. والصورة فى اليوم الثانى والأربعين ليس فيها شكل الإنسان أبداً.. أما فى نهاية اليوم الثانى والأربعين.. وبعد مرور المدة المقررة الواردة بالحديث.. فقد تم تصوير الجنين.. ويوضح التصوير أن الجنين فى المرة الثالثة هذه.. أى بعد مضى ٤٢ يوماً يصبح واضح المعالم) وصدق الله العظيم.. حيث يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ !!

هـ. بهوت البروفسور جوريل ج. GEORILLA G.S.

- ويا ولدى ! البروفسور جوريل ج. س، أستاذ بقسم التشريح، بجامعة جورج تاون، واشنطن دى. سى، أمريكا، يقرر فى المؤتمر السعودى السابع للإعجاز العلمى للقرآن مايلى: (وصف القرآن التطور البشرى منذ تكوين الأمشاج.. إلى أن أصبحت كتلا عضوية.. وإن هذا الوصف وهذه الإيضاحات الجلية والشاملة.. لكل مرحلة من مراحل تطور الجنين.. وفى معظم الحالات إن لم يكن فى جميعها.. ويعدد هذا الوصف فى قدمه إلى قرون عديدة (١٤ قرناً!!)) وقبل تسجيل المراحل المختلفة للتطور الجنينى البشرى التى وردت فى العلوم التقليدية العلمية) !!

- ويعود البروفسور جوريل يا ولدى ! ليكشف عن العديد من الحقائق العلمية حول التكاثر البكرى فيقول: «كشف العلم الآن عن كثير من كائنات تتوالد وتنجب بدون تلقيح الذكور.. فجميع ذكور النحل عبارة عن بيضة لاتلقح بذكور النحل - والبيضة التى تلقح بماء ذكور النحل تكون شغالة، وأما الذكور فتأتى وتتكاثر مباشرة من بيض الملكة دون ماء الذكور.. وهناك أمثلة أخرى كثيرة على ذلك.. بل وتمكن العلم الحديث عن إمكانية أن ينهب بعض البيض فيتم التكاثر دون حاجة إلى تلقيح الذكر.. وفى نوع آخر لتناول الموضوع.. فإن البيض الغير مخصب لكثير من الحيوانات اللافقرية والبر مائية والثديية السفلى.. يمكن تنشيطه بوسائل ميكانيكية كالوخز بالإبرة أو بالصدمات الحرارية.. أو بوسائل

كيميائية بأى عدد من الموارد الكيميائية المختلفة.. ويعتبر هذا النوع من التطور الجنينى طبيعياً!!

فسبحان الله العظيم أن هناك خلق بهذه النوعية بلا أب!!
ولقد أورد القرآن الكريم.. هذا الخلق فى حالات.. كخلق سيدنا آدم بلا أب ولا أم.. وخلق حواء بأب وبلا أم.. وخلق سيدنا عيسى من أم وبدون أب!!
وسبحان الله العظيم جلّت قدرته!!

١٣٠٨ الحمل والولادة والرضاعة!!

- سألت زوجتى: وماذا عن الحمل والولادة والرضاعة فى القرآن!!
- أجبت: الله سبحانه وتعالى إختص ذاته بمعرفة ما فى الأرحام، وخلق البشر فيها، وأخرجهم منها، أطفالاً فصية فسيوياً.. وهو وحده يعلم نوع الجنين.. وسبق أن تعرضنا للتفسير العلمى للبروفسير كيث مور فيما يخص الظلمات الثلاث: الجدار الرحمى البطنى، والجدار الرحمى، والغشاء الداخلى.. وقد ورد ذلك فى قوله تعالى:

﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذ لكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (الزمر ٦: ٣٩)..
وقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (لقمان ٣١-٣٤)..
وقوله تعالى: ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران ٦: ٣)..
وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لى لا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ (الحج ٥: ٢٢)..
وقوله تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ (الرعد ١٣: ٨)..
- والله سبحانه وتعالى يولى عناية خاصة للعلاقة بين الإنسان والديه.. وبينه

وبين أمه على وجه الخصوص.. ويحدد القرآن الكريم مدد الرضاعة مضمومة إلى فترة الحمل.. أو قائمة بذاتها.. كما يورد إمكانية الإسترضاع بمرضعة.. وفي هذه الحالة تعتبر المُرْضعة أمَ رضاعة.. ولها تشريعات خاصة كالأم تماماً.. وورد ذلك في قوله تعالى:

- ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ (الاحقاف:٤٦:١٥) ..

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾ (لقمان:٣١:١٤) ..

وقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة مولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادوا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذ سلمتم ما آتيتكم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ (البقرة:٢:٢٣٣)

٢٨٠١٣ إعجاز الرضاعة والعلم !!

- ويا أحباب ! من آيات الرضاعة في أيامها الأولى أن المولود الرضيع يحصل من مكونات لبن أمه على الغذاء، ويحصل أيضاً على تطعيم طبيعي.. فلبن الأم في الأيام الخمس الأولى بعد الولادة مباشرة من ذلك النوع من اللبن الأمهاتي الذي يسمى (اللبن) وهو غني بالبروتينات.. والفيتامينات.. ويحوى على أجسام حيوية مضادة للأمراض.. ذو أثر وتأثير على المستقبل الحياتي، والمرضى، والمناعى للطفل.

- وبقدرة الله تعالى، ومع مرور الوقت فإن لبن الأم، تتغير صفاته تبعاً مع مرور الزمن ليواكب احتياجات الطفل، وبعد حوالى ثمان شهور من الولادة يكون للطفل القدرة على بدء الهضم لشرب الخضار المسلوق، والمضروب بالخلاط، وبعض العصائر، وسوائل النباتات الطبية.. وطورياً يبدأ قوام لبن الأم في التغير وتزداد ملححته وتقل سكرياته بدءاً في تهيئة الطفل إلى الانتقال في نهاية

العامين إلى ذاتية الفطام، وبمعنى أن إستمرار الرضاعة يصيب الأم ببعض المضاعفات نتيجة لطلوع أسنان الطفل اللبنية !!

- ومن إعجاز خلق الله تعالى أن الأم التى تقوم برضاعة وليدها رضاعة طبيعية ينالها من الفوائد العديدة .. منها إنتقاص الحيض، وسهولة إنكماش الرحم، وزيادة واضطراد علاقة الأمومة والبنوة بين الأم والوليد !!

- ولبن الأم بوجه العموم هو غذاء متكامل .. معقم .. دافئ .. يحوى الفيامينات (أ)، (ب)، (ج)، (د) التى تقى المولود من العشى والعمى الليلي .. وتقيه من الأسقربوط .. وتقيه أيضاً من لين العظام، والكساح، وشلل الأطفال !! فسيحان الله العظيم !!

- ولما كانت الرضاعة نسب وعصب .. جاءت حكمة تحريم أمهات وإخوة وأخوات الرضاعة فى النكاح، والزواج، والمصاهرة !! وتأمل قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ (النساء: ٢٣)

- والرضاعة عصب ونسب فى القرآن ومن هنا تأتى حكمة تحريم أمهات وأخوات الرضاعة !! بحسب أن إكتمال خلق الإنسان يتم بالوريد فى بطن الأم .. وبالرضاعة من الثدي لمدة حددها الله تعالى بحولين كاملين !! ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ !!

- والرضاعة تحريم .. ﴿.. وأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرِبَائِيكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونَا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء: ٢٣) ذلك لحكم إنسانية رفيعة لازلنا نجهل حقيقة كنهها !!

- وعن عائشة رضی الله عنها عن النبی صلی الله عليه وسلم قال:

﴿الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة﴾ - أخرجه البخارى ومسلم.

- وهذا التحريم الإلهي بجانب أنه يعطى لأولى الأرحام وقاراً وقُدسية .. ويبعدهم عن البهيمية .. فإنه كذلك يبعدهم عن مانجهل عن العوامل الوراثية التى هى بالقطع تتزايد كثيراً فى هذه النوعية من المحرمات .. وربما بدون هذا التحريم لحدث إختلال للجنس البشرى كله .. خلقياً وخلقياً والله أعلم !!

وقوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾ (غافر: ٦٧) ..

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ (الأحقاف: ١٥-١٥:١٥)

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنتنكم تعملون﴾ (العنكبوت: ٢٩-٢٩:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (الأنفال: ٨-٨:٧٥)

وقوله تعالى: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ (الأحزاب: ٣٣-٣٣:٦)

٩١٣ جسم الإنسان في القرآن !

- سأل ولدى: ماذا عن جسم الإنسان في القرآن ؟!

- أجبت: يا ولدى ! فى القرآن الكريم يُخْتَصُّ الإنسان هيكلياً بوصف الجسم تارة والبدن تارة أخرى .. بنصوص فى ثلاث مواضع فى قوله تعالى:

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة: ٢٤٧-٢٤٧:٢٤٧)

وقوله تعالى: ﴿إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (المنافقون: ٦٣-٦٣:١٠)

وقوله تعالى: ﴿فاليوم نجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ (يونس: ٩٢-٩٢:١٠)

وقوله تعالى: ﴿هم أحسن أثاثاً ورثياً﴾ (مريم)

١٠-١٢ مكونات جسم الإنسان !

- ويا ولدى ! الجسم أو البدن هو المكون المحسوس مادياً فى الإنسان وهو مع النشأة كما سبق وذكرنا "خلق من تراب، أو من طين، والطين هو فى الحقيقة تراب مضاف إليه الماء" والصّصال والحمأ والفخار .. جميعها فى النشأة ماهى إلا من مكون ترابى أرضى، ومكونات الأرض الأصلية هي ٤٦٪ أوكسجين، ٢٧٪ سليكون، ٨٪ ألومنيوم، ٥٪ حديد، ٣٪ كالسيوم، ٢٪ صوديوم، ٢٪ بوتاسيوم، ٢٪ ماغنسيوم، ٢٪ تيتانيوم، ١٪ أيدروجين.

- وحول أرضية الإنسان وجسم الإنسان من حيث التكوين، يقرر الدكتور/ الكسيس كاريل فى كتابه الإنسان ذلك المجهول من ص٧٣ وحتى ص١٣٨ "لقد خلق الإنسان من تراب الأرض، ولهذا السبب تتأثر وجوه نشاطه الفسيولوجية والعقلية تأثيراً كبيراً بالتكوين الجغرافى للبيئة التى يعيش فيها، وطبيعة الحيوانات والنباتات التى يتغذى عليها عادة .. كذلك يتوقف بناؤه ووظائفه على إختياره عناصر معينة من بين الاطعمة النباتية والحيوانية الموضوعة تحت تصرفه!"

- وإن جسم الإنسان يتكامل من عملية تغذية مستمرة، ودائمة، ومتكررة، قبل أى شيء آخر .. إنه يتكون من حركة لا تنقطع للمواد الكيماوية .. وإن الأساس لجميع وجوه النشاط البدنى ينشأ من العالم المجاور .. الأرض .. ثم لا يلبث أن يعود إليه! - ولا يفوتنا أن الماء هو سر الحياة فى جسم الإنسان .. إما فى المشرب .. أو فى المأكول .. ويقوم الماء بتنصيب الفضلات ويخرج فى أربع صور: البول، مكون رئيسى فى البراز، فى العرق، فى نَفَس الإنسان، ويعمل الماء .. وبصفة رئيسية .. على التكييف الحرارى للجسم.

- والبويضة البشرية الانثوية والمنى الرجالي البشرى شأنهما شأن جسم الإنسان يتكونان من ذات المركبات التى يتركب منها جسم الإنسان التى هى فى الواقع من مكونات تراب الأرض .. والجنين إذ يتغذ بالحبل الوريدى من جسم أمه .. فالسلسلة البشرية كاملة من الأرض .. وإلى الأرض .. وتبعث حية .. خروجاً من الأرض ثانية .. فسبحان الله العظيم حيث يقول:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٢٠: ٥٥)

والجسم الإنسانى بحواس السمع والبصر والفؤاد .. (حواس التعقل) .. بجانب العديد من الأجهزة .. الجهاز التنفسى .. الجهاز الهضمى .. الجهاز

البولى .. الجهاز التناسلى .. الجهاز العضلى .. الجهاز العصبى .. الجهاز
الجلدى .. الجهاز الهضمى للطعام .. الجهاز السمعى .. والجهاز البصرى ، وكل
جهاز منقسم الى عدد من الاعضاء بدقة متناهية فى التكوين !!
فسبحان الله الخلاق العظيم !!

- ويا ولدى ! الجسم يحوى حوالى ألف مليون مليون خلية ويستهلك الجسم من
هذه الخلايا حوالى ٧٥٠٠ خلية فى الدقيقة الواحدة .. وعرضنا للجهاز البصرى
وللجهاز السمعى !!

١١١٣ إعجاز الجلد فى جسم الإنسان !!

- سألت ابنتى: ماذا عن الجلد فى القرآن ؟!

- أجبت: يابنتى ! الجلد هو الغطاء الخارجى لحسم الإنسان، غير قابل
للإحتراق بواسطة الماء أو الغازات أو الجراثيم التى تعيش على سطحه .
والجلد هو مأوى كمية هائلة من أعضاء الاستقبال، ويحس باللمس، والضغط،
والآلم، والحرارة، والبرودة . والجلد الموجود فى الغشاء المخاطى للطعم يميز
الطعم والحرارة . وشبكة أعصاب الشم للجلد الداخلى للأنف تميز الروائح .
أما جلد الأذن وأغشيتها فيدخلان وبشدة فى الجهاز السمعى . والجلد الذى
يغطى الشبكية الصغيرة يصبح شفافاً ويكون القرنية والعدسات الشفافة ويدخل
فى عمل الجهاز البصرى !!

- والجلد يابنتى ! فى مجمل وظيفته هو بوابتنا إلى العالم الخارجى .. والجلد
حارسنا من التأثيرات الضارة لأشعة الشمس وللبيئة الجوية بصفة عامة !! فإذا
تعرض ربيع جلد الإنسان لمخاطر حريق فإن هذا معناه الموت المحقق بتأثيرات
التقلبات فى البرد والحر، والشمس والليل، والنور، والظلام، والرياح،
والأمطار، والجليد، والأتربة، والميكروبات، والرطوبة، والضغط، والحشرات،
والجراثيم، والضوضاء، والتلوثات الغازية!!

- ويحمى الجلد الخلايا من الفرق فى الماء أو فى الغازات !! والجلد يحمى
الجسم من الجفاف، ويخلصه من السموم بطرد العرق، ويحفظ درجة حرارة
الجسم عند ٣٧م !!

- والجلد يابنتى ! مُتَرَجِّمٌ للشعور وَيُغَيِّرُ لونه بين الصفرة والحمرة بتغير الحالة
النفسية للإنسان، ويؤخذ مظهر الجلد كترموتر للغذاء .. وهو وسيط صناعى حيث

يقوم الجلد ويتعرضه لأشعة الشمس بتكون فيتامين (د) وحالة الجلد تساعد الطبيب في تشخيص أغلب الأمراض !!

- والجلد لا يعرف الكذب يوم الحساب .. راجع وتكلم الجلد - دراسة عن الجلد في العلم والأديان السماوية الثلاثة (اليهودية المسيحية الإسلام) - كتاب .. دكتور ابراهيم خليل دار الصفاء (١) القاهرة ١٩٩١م.

وتأمل يابنتي ! قول الله تعالى في سورة فصلت الآيات ٢٢:٢٠: ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ (فصلت ٢٠:٢٢)

والجلد جهاز متقدم للشعور العام والشعور الإيماني على وجه التخصص، والجلد جهاز متقدم للإحساس العام كذلك .. وتأمل في قول الله تعالى:

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين * الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾ (الزمر ٢٢:٢٣)

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ (النساء ٤:٥٦)

- ويابنتي ! يقرر العالم البروفسور تاجا داك تاجا صن رئيس قسم التشريح والجنة بتايلاند، وعميد كلية الطب، في مؤتمر الإعجاز القرآني الثامن بالسعودية بقوله:

«نعم إذا كان الحرق عميقاً يدمر عضو الإحساس ويشعر الإنسان بالألم .. والقرآن يذكرنا بأنه عندما ينضج الجلد ويدمر، يخلق الله للكافرين جلوداً أخرى - حتى يدوقوا العذاب بالنار، مما يشير إلى المعرفة بأطراف الأعصاب في الجلد. وهذا يعني أن مستقبل الإحساس بالألم لابد أن يكون في الجلد ولذلك فانه سبحانه وتعالى يخلق لهم جلداً جديداً .. وبحسب أن الجلد مركز الإحساس بالحرق - فإذا اتضح فقد الإحساس، يعاقب الله الكفار بإعادة الجلود، وإعادة حرقها مرة بعد مرة - وكما ورد بالآية» ..

- و يابنتي ! يدخل الجلد في مجموعات الألوان والأصباغ خلقياً في ظاهرة إعجازية في اختلاف ألوان البشر متماثلاً لإعجاز الاختلاف الخلقى للثمار

وللجبال ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (فاطره: ٣: ٢٢٨-٢٢٧)

وقوله تعالى في شأن اختلاف ألوان البشر بإختلاف ألوان جلودهم:
﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (الروم: ٣٠: ٢٢)

- ويذهب ابن كثير - وهو من أكابر علماء التفسير والمتوفى سنة ٧٧٤ هجرية - إلى ما هو أعمق في تفسير إختلاف الألوان.. وأورد أنه لا يوجد إنسان في جميع أهل الأرض منذ النشأة وحتى قيام الساعة يشابه أخاه الإنسان، بل ولابد أن يفارقه بشيء جلدى ظاهر، وأشياء أخرى كثيرة باطنة !! ويجيء العلم الحديث ليكتشف العلماء هذه الإنفرادية البشرية في بصمة الأصابع !! مصداقاً لقوله تعالى:
﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ (القيامة: ٧٥: ٤٣)

- وصدق الله العظيم حيث قال:

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾.. ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق﴾ !
- ويورد الأستاذ إبراهيم خليل فى كتابه (وتكلم الجلد) عناصر بمعلومات عن الجلد ولم يكتشفها العلماء حتى اليوم:
١ - الجلد يفهم.

٢ - الجلد يقشعر عند سماع القرآن.. ثم يلين.

٣ - للجلد ذاكرة لاتخطئ لأنه سيشهد علينا.

٤ - الجلد لايعرف الكذب لأن الله لايقبل شهادة الكذاب.

٥ - الجلد قوى الحجة ساطع البرهان.

٦ - الجلد يؤمن بالله وباليوم الآخر.

٧ - جلد الكافر ينصهر بالعذاب يوم القيامة (يصهر به مافي بطونهم والجلود)

١٢-١٣ الخلايا طويلة العمر فى جسم الانسان !!

- سأل ولدى: وكيف نحفظ بذاكرتنا ؟!

- أجبني: يا ولدي ! هناك من الخلايا تحيا مع حياة الإنسان .. وتبقى معه حتى الممات خاصة الخلايا العصبية .. وتحفظ هذه الخلايا العصبية للإنسان مداركه، وتعليمه، وتعلمه، وثقافته، وتذوقه، وحضارته، وحضارات الآخرين، ولغته، ولغاتهم، وخبرته، وخبراتهم، وتحافظ على تكاملية مفاهيمه، ووعيه، وتجاربه، وخبراته !!

١٣-١٢ الغدد فى جسم الإنسان !!

- وسألت ابنتي: وماذا عن الغدد فى جسم الإنسان ؟
- أجبني: يا بنيتي ! تقوم الغدد فى الجسم بوظائف تخصصية على جانب كبير من الأهمية لتوازن الجسم خلقياً وأدائياً، وأى اضطراب فى أى منها يؤدى إلى نوع معين من الاختلال فى وظائف الجسم.

١٤-١٣ الوراثة والبيئة !!

- وسأل ولدى الأكبر: وماذا عن الوراثة وتأثيرات البيئة على الإنسان ؟
- يا ولدى ! عن العوامل الوراثية والعلاقات الاجتماعية وأثر البيئة والنشأة وأثر الإيمان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه﴾ .. رواه البخارى فى كتاب المناقب باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣: ٤٩)

- ولو عدنا إلى أرضية النشأة وجسم الإنسان من حيث التكوين .. وما قرره الدكتور الكسيس كاريل .. فى كتابه الإنسان ذلك المجهول .. (لقد خلق الإنسان من تراب الأرض، ولهذا السبب تتأثر وجوه نشاطه الفسيولوجية والعقلية تأثيراً كبيراً بالتكوين الجغرافى للبيئة التى يعيش فيها، وطبيعة الحيوانات والنباتات التى يتغذى عليها عادة .. كذلك يتوقف بناؤه ووظائفه على إختياره بعناصر معينة من بين الأطعمة النباتية والحيوانية الموضوعة تحت تصرفه ..)!!

وهذه الأمور تقطع بتأثير الوراثة والبيئة على الإنسان فى جميع مراحل خلقه ونموه وحياته !!

- وهناك يا ولدى ! من العلوم العديد الذي يتناول هذا الموضوع ومنها علم الأجناس البشرية، وعلم البيئة، وعلم الاجتماع، وعلوم الجغرافيا البشرية والتاريخ.. وعلى وجه التعميم فالإنسان فى علاقة متبادلة تأثيراً وتأثراً مع البيئة !!

ب. الروح والإنسان فى القرآن !!

- وسأل ولدى: وما تقول لنا عن الروح ؟
- قلت: يا ولدى ! اختلفوا فى أمر الروح !! فقال كثير من أرباب علم المعانى، وعلم الباطن، والمتكلمين، والفلاسفة .. لا نعلم حقيقة الروح !!
- ومنهم يا ولدى ! من ذهب إلى أن الروح الإنسانى هو المسمى بالنفس الناطقة !!
- وقالوا فى الروح يا ولدى ! إنه مجرد متعلق بالبدن، وقال البعض أن الروح غير مجرد.. بمعنى أن (الروح) هو مبدأ الحس والحركة، ومبدأ الحياة فى البدن، وقيل هو الحياة والحرارة الغريزية، والدم والدماغ.. واختلفوا فى النفس والروح، فقيل هما شئ واحد، وقيل هما متغايران، وقيل النفس منها الأخلاق والصفات، والروح فيها الحياة، وقيل الروح هو الطبيعة التامة للكائن، وتقوم به صورته، والروح المخلوق روح إلهى، قام به الروح القدس - روح الأرواح. وقيل روح الشئ نفسه، وجسد الإنسان صورته وروحه معناه، وسره هو الروح الإلهى أو روح القدس. وقيل الروح حيوانى وإنسانى، والروح الحيوانى مبدأ الحركة والحس، والإنسانى ما به الحياة والإبراك. وفى اصطلاح أهل الله وغيرهم هى السر الخفى والنفس والفؤاد والقلب والكلمة (المعجم)!!
وبعضهم قال ان الروح سرمدية من أمر الله واليه ترد وتبعث ان شاء الله..!!
- ووردت الروح فى القرآن يا ولدى ! على عدة أوجه نوجزها فى الوحى.. وفى القدرة والثبات.. وجبريل عليه السلام.. والروح التى سأل عنها اليهود.. والمسيح بن مريم.. وخلق آدم.. والراحة فى جنة النعيم.. وذلك على النحو التالى:

١. الوحى .. كقوله تعالى:

﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ (النحل:١٦:٢) وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾ (غافر:٤:١٥) وقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾

(الشورى:٤٢:٥٢)

٢- الروح ٠٠ القدرة والثبات ٠٠ كقوله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحِهِ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٥٨:٢٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف:١٢:٨٧)

٣- الروح ٠٠ جبريل عليه السلام ٠٠ كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشعراء:٢٦:١٩٣) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:١٦:١٠٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم:١٩:١٧) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة:٢:٢٨٣) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة:٥:١١٠)

٤- الروح ٠٠ التي سأل عنها اليهود ٠٠ فأجيبوا بأنها من أمر الله، وقد قيل أنها الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:١٧:٨٥) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿تُعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج:٧٠:٤) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا:٧٨:٣٨) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر:٩٧:٤)

٥- الروح ٠٠ والمسيح بن مريم ٠٠ وردت في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لاتغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أئى يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾ (النساء:٤:١٧١)

٦- الروح ٠٠ وخلق آدم ٠٠ ويقول سبحانه وتعالى:
﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (ص:٣٨:٧٢)
وقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ (السجدة٩:٣٢)

٧- روح ٠٠ بمعنى الراحة فى حياة جنة النعيم ٠٠ فى قوله تعالى:
﴿فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم﴾ (الواقعة٥٦:٨٨، ٨٩)
ويجمع المسلمون على أن الروح مخلوقة وحادثة مصداقاً لقوله تعالى:
﴿وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (الروم:٣٠:٢٧)
- سألت ابنتى: وماذا عن النفس ؟!

- أجبت: يابنتى هذا موضوع يطول شرحه ٠٠ وتطلق النفس على الذات، كما تطلق على العقوبة فى قوله تعالى: ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾ كما نطلق على النفس الامارق بالسوء فى قوله تعالى: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ ٠٠ ﴿وكذلك سولت لى نفسى﴾ ٠٠ ونعرض للنفس وللحياة النفسية فى مُدَارَسَةِ لاحقة إن شاء الله تعالى !!

١٤. فى الفضاء حياة !!

- سأل ولدى: أفى الفضاء حياة ؟! ٠٠
- أجبت: نعم يا ولدى ! ويجمع العلماء، ورواد الفضاء، ومعامل الفضاء أن هناك حياة أخرى فى الكون بل ذهبوا إلى أكثر من هذا وراحوا يرسخون لدى العامة والخاصة بإجماعهم على أن هناك حضارة ربما هى على الأقل مثل حضارتنا البشرية على كوكب الأرض إن لم تكن الحضارة الفضائية الواقعة خارج نطاق كوكبنا الأرضى أكثر تقدماً ٠٠ وربما تكون الحياة والحضارة خارج الأرض فى أكثر من كوكب أو فى أكثر من مجموعة كوكبية ٠٠ وبدأوا يبحثون فى آن واحد عن عدة أشياء أين الكواكب المتماثلة مع الأرض ؟! وما هو السبيل للإتصال

بهذه الحضارات ؟! كيف بدأت وكيف تطورت ؟!؟

يا أحباب ! نشأ فى معارف البشر علمٌ جديد يطلقون عليه (علم الأحياء الخارجية) وهو ذلك الفرع من العلوم الذى يفسر الحياة البيولوجية تحت تأثير ظروف الفضاء الخارجى.. والبحث قائم عن كوكب تماثل ظروفه الطبيعية مع ظروف الأرض من حيث الغلاف درجات الحرارة الخواص الميكانيكية الكونية من حيث التربة وسرعة الدوران والجاذبية.. وما إلى ذلك!!

- وعلم آخر يؤسسونه له.. وهو (علم المجتمعات الخاجية) .. يعنى بمشاكل الحياة فى الظروف الخارجية من حيث طرق الإعاشة ونمو الكائنات الحية فى هذه الظروف الاحتمالية

- وعلم ثالث له مدارس ومؤيدوه والعاملون فيه.. وهو علم الإتصال بالحضارات الكونية الخارجية (علم الإتصال بالنجوم) .. عن طريق إرسال واستقبال إشارات لاسلكية بنفس الطرق العلمية المستخدمة فى علم الفلك !!

- مشكلات كل هذه العلوم هى عجز التكنولوجيا العالمية الحديثة عن رصد إشارات من مجموعات نجمية متناهية فى البعد عن مجموعتنا الشمسية.. ويرجعون ذلك إلى نظرية يسمونها الإنطلاقة الكبرى نشأت مع الانفجار العظيم.. وربما تتطور المعدات الرصدية ويكون بمقدور البشرية معرفة بعض الأشياء عن الحياة فى الفضاء الخارجى !!

- يا أحباب ! إكتشفوا حديثاً بذوراً كونية.. بصفات وراثية جديدة !!

- وأثبت العلم، وبما لا يدع مجالاً للشك، أن التهجين يبدأ من حيث خلق الله الأشياء كونياً فى الكون، أو برياً فى الأرض.. فكل ما هو برى فى حياتنا الأرضية هو كونى فى الأساس.. ولم تستطع البشرية جمعاء خلق خلية واحدة أو حتى التعرف على أسرارها !!

- والخلق والنشأة الأولى بدأت من تراب وماء وهواء، وهو وحده سبحانه الذى يعلم السر وأخفى.. ولننقل جيداً أن أحداً لم يتمكن من خلق خلية حية واحدة وحتى الآن !!

- ومعلوم يا ولدى ! أن تسبب الكائنات الحية الذكية المتواجدة فى الكون سموات وأرض لله سبحانه وتعالى.. ومعلوم أيضاً أن الأرض لا ترد فى القرآن الكريم جمعاً.. الأمر الذى قد يستفاد منه ضمناً أن هناك كواكب أرضية أخرى

فى الكون، وعليها وفيها حياة، وربما حياة ذكية تسبح وتعبّد الله سبحانه وتعالى. وذكر تباين التسبيح، قد يزيد من احتمال الإشارة إلى الكائنات الذكية فى الكون. حيث قال جل من قائل:

﴿تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (الاسراء ٤٤: ٤٤)

- والارض دواماً يأتى ذكرها فى القرآن مفردة يا ولدى! بما يحمل احتمال أن تعبير من فى الارض فى النصين السابقين يحتمل أن يشمل أراضى أخرى غير كوكبنا الأرضى - والله أعلم.

- وأنظر يا ولدى! إلى قول الله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ (الشورى ٤٢: ٢٩)

وعلى الإطلاق فإن الله ما يشاء ويخلق ما يشاء متى وأين شاء. حيث يقول تعالى: ﴿الله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى ٤٢: ٤٩)

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج ١٨: ٢٢)

وقوله تعالى: ﴿وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الانعام ٣٨: ٦)

- ويا ولدى! هذا التشابه! وهذه المثلية! للدواب والطيور فى أمم أمثالنا فى الكون. يقطع على الأقل بوجود حياة على كواكب أخرى. غير كوكبنا الذى نعيش عليه!!

- ومن عجب فإن خلق السموات والارض أكبر بكثير من خلق الناس. فإذا كان خلق السموات المتعددة ﴿سبع﴾، وخلق الارض المتعددة ﴿مئلهن﴾، فإن خلق الحياة فى هذه الارض المتعددة أمر على الله يسير. حيث أورد القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (غافر ٤٠: ٥٧)

وقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ - وإذا كان يا ولدى! الخلق بالمثلية قائم! وإعادة الخلق للسموات والارض حقيقة. فإن خلق ما فى السموات والارض من باب أولى يصبح أيسر وأهون على

الله!

- وهذا ما يورده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾ (يس:٣٦) ومن كل ماتقدم يا ولدي! يستفاد أن القرآن الكريم قطع وبحزم في نصوصه عن وجود حياة في الكون الخارج عن كوكبنا الأرضي.. وتأكد العلماء حديثاً من ذلك.. فالنيازك.. أجزاء من كواكب كونية.. التي جاءت إلى الأرض قد حوت كثيراً من الجزيئات العضوية.. وهذه الجزيئات العضوية الواردة من الفضاء الخارجى تشابه تلك التي تأقلمت في التجارب البيولوجية في الأرض.. وهذا يقطع بوجود مظاهر للحياة في الكون!! وتجاهد البشرية في التعرف على كنه هذه الحياة!!

- ويشغل بال العلماء الآن الاتصال بحياة عاقلة في الكون الخارجى بين النجوم والكواكب!! ويشغلهم كنه الحياة على الكواكب!! وتشغلهم الحياة جميعها أوبعضها وعناصرها ومظاهرها، وتأثيرها على الأرض، وعلى الإنسان..!! فضلاً عن ذلك فقد صممت رسائل إعلامية بدائية للاتصال بالكائنات الكونية الذكية تبث وترسل تباعاً ودواماً من خلال محطات متخصصة ١ على أمل الاتصال بحضارات كونية أخرى غير حضارتنا الأرضية..!!

- وعليه فإن كل ما تقدم يهدم الوجودية، ويهدم نظرية التطور للكائنات الحية المتفردة للإنسان بالذات في مواجهة الفكر الإلحادى في نظرية داروين للنشوء والارتقاء.. ويفتح الباب واسعاً فسيحاً للدراسات المتكاملة في شتى فروع العلم للتعرف على كنوز المعارف الحياتية في الكون.. والله يحق الحق ويزهق الباطل!!

١٥. الإفلات من مجال الأرض!!

- سألت ابنتى: وهل يمكننا الذهاب للتعرف على هذه الحياة؟! - قلت: يابنتى! هي حياة في الفضاء.. والإنسان تمكن مبكراً من غزو الفضاء، ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ (الرحمن:٥٥:٣٣)

- ونسوق هذه الآية في هذا الموضع لنوضح ثلاثة معان: الإستطاعة والنفاز تفيد الجذب والجاذبية، وأقطار السموات والأرض تفيد كروية السموات والكواكب ومدارات السباحة للكواكب النجمية، ولا تنفذون إلا بسلطان تفيد الحفز على

البحث عن طرق النفاذ، والآخر حدوثه وارده. وهذه الثلاث توصل إليها العلم الحديث. ومجهودات العلماء في هذا الشأن لا تتوقف!!

- فقوانين نيوتن الشهيرة في الميكانيكا الكلاسيكية واجهت مأزقاً في التطبيق العام. استنهضتها قوانين أينشتاين للنسبية. وكليهما يواجه موقفاً حرجاً في تفسير ظواهر الفساد والاختلال. ونعرض لهذا فيما بعد إن شاء الله تعالى.

بمعنى أن العلم البشري لازال في بداية الطريق، وإن هُيئَ للناس غير ذلك يابنيتي!

- وإذا فهمنا مقصد الآية الكريمة. «لتركين طبق عن طبق» استنهض همماً. وصولاً للنفاذ من أقطار السموات والأرض. ركوباً لطبق عن طبق. مستكشفين أسرار الفضاء والأرض. مؤدين لتكليف إسلامي بالارتفاق والانتفاع بكل مافي الكون. ونرجع إلى هذا الموضوع بمداصلة أشمل في خصوصية غزو الفضاء !!

١٦- (خلق بالحق)

- سألت زوجتي: ما هي حدود وضوابط الخلق الكوني؟

- أجبت: هو الخلق بالحق. والحق هو أصل المطابقة والموافقة. ويقال على عدة أوجه:

- الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق وقال تعالى: «ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق»، وقيل: (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى توافقون).

- والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق وقال تعالى: «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا». إلى قوله تعالى: «ما خلق الله ذلك إلا بالحق».

وقال تعالى في شأن يوم القيامة: «ويستنبئونك أحق هو قل إى ربى إنه لحق» (ويكتمون الحق) وقوله عز وجل «الحق من ربك». «وإنه للحق من ربك».

- والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق قال تعالى: «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق».

- والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب في الوقت الذي يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق قال الله تعالى: «كذلك حققت كلمة ربك». «حق القول منى لاملأن جهنم». وقوله عز وجل: «ولو اتبع الحق أهواءهم».

ويقال أحققت كذا - أى أثبتته حقاً أو حكمت بكونه حقاً وقوله تعالى: ﴿لحق الحق﴾ فإحقاق الحق على ضربين:

أحدهما - بإظهار الأدلة والآيات كما فى قوله تعالى: ﴿وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ أى حجة قوية.

والثانى - بإكمال الشريعة وبثها فى الكافة كقوله تعالى: ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ ٠٠ ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ ٠٠ وقوله: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ إشارة إلى القيامة كما فسرته بقوله ﴿يرم يقوم الناس﴾ ٠٠ لأنه يحق فيه الجزاء ويقال حاقفته فحقفته أى خاصمته فى الحق فغلبته ويستعمل كذلك فى الواجب واللازم والجائز نحو ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ - كذلك حقاً علينا نجى المؤمنين﴾ ٠٠ وقوله تعالى ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ ٠٠ وقوله تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ ٠٠ والحقيقة قد تستعمل تارة فى الشيء الذى له ثبات ووجود كقوله صلى الله عليه وسلم: لحارثة (لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟؟)

- والحق يقابله الباطل فى المعتقدات ويقابله الخطأ فى المجتهدات.

- وحق اليقين عبارة عن فناء العبد فى الحق ٠٠ والبقاء به ٠٠ علماً وشهوداً وحالاً. وقيل علم اليقين الشريعة ٠٠ وظاهر اليقين الإخلاص فيها ٠٠ وحق اليقين المشاهدة فيها ٠٠ (المعجم القرآنى)

- ويا أحابيب ! خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما بالحق ويدبر الأمر فيهما، وفيما بينهما، بالحق، لا بالباطل، وسخر الله الكون وما فيه من أرض وسماء ونجوم وكواكب وشمس وقمر لانتفاع الإنسان بها فى الحياة الدنيا (فى الخلافة فى الأرض) ولترقية حياته ووهبه القدرة على التعرف على نوااميس هذا الكون الفسيح بالفطرة والتفكر والتعلم وبالإيمان.

- ويحتاج الإنسان أول ما يحتاج إلى هدى الله فى كل ما يختص بكيونته وحياته من عقيدة وسلوك وخلق وموازن وقيم وأنظمة وأوضاع وشرائع ومعاملات تنظم واقع الحياة وإذا رضى الله عن الإنسان وفقه إلى هداه فالهدى إنما هو هدى الله، واستبداله ضلال فما بعد الحق غير الضلال، وأمرنا أن نسلم لله رب العالمين، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونتقيه حق تقاته.

- فالله سبحانه وتعالى يذكرنا بأنه خلق لنا كل ما فى الأرض لإسعادنا وللسمو بحياتنا كخلايف له فى الأرض حيث يقول تعالى:

﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة: ٢٩)

وهذا معناه أننا مكلفون بارتفاق ما فى الأرض جميعاً من كل شىء ٠٠ !!

- وقد ورد خلق الكون بالحق فى ١٢ نص قرآنى نوردها فى الآتى:

- النص الأول: فى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴿(الأعراف: ٧٢، ٧٣)﴾

ويذكرنا سبحانه وتعالى بحشد هائل من الحقائق الأساسية فى العقيدة الإسلامية: حقيقة الحشر، حقيقة الخلق، حقيقة السلطان، حقيقة العلم بالغيب والشهادة، حقيقة الحكمة والخبرة ٠

إن الاستسلام لله رب العالمين واجب وضرورة، فهو الذى تحشر إليه الخلائق كلها، لتقف يوم الحساب أمام رب العالمين ببعض ما ينجى من العذاب والعقاب على الشرك - والعيان بالله - أو التقصير فى فرائضه، ويذكرنا سبحانه وتعالى بأنه الذى خلق السموات والأرض ٠ والذى يخلق يملك ويحكم ويقضى ويتصرف ويصرف ٠ ولقد خلق السموات والأرض بالحق، فالحق قوام ما خلق الله نشأة ومالاً وعلى اتساع الكون كله، وسلطان الله مطلق، ومشيبته مطلقة، ومعه ينعدم الزمان، فهو حال مايقول كن فيكون، وذكره للفظ - كن - إنما هو نسخ للزمان أمام المشيئة الإلهية فى الخلق، والإبداع، والتغيير، والتبديل، والأمر والتدبير ٠٠ - فى الملك كله ٠٠ نشأة وبعثاً، يوم ينفخ فى الصور، وهو يوم الحشر (وصورته من غيبيات الله سبحانه وتعالى) ٠٠ وهو جل شانه ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ٠

اختص وانفرد بعلم الغيب المحجوب، وكما يعلم وعلمه الحق هذا الكون المشهود، ولا تخفى عليه خافية من أمر العباد ولا شأن من شئونهم فى السر أو فى العلن أو فى الضمير فأولى لهم أن يسلموا ويؤمنوا ويتقوا ٠ ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ ٠

يصرف أمور الكون الذى خلقه وأمور العباد والناس الذين استخلفهم فى الأرض بالحكمة والخبرة ٠٠ فالسعيد من اتبعه ٠٠ وفاز بفضل الاثنين - الحكمة والخبرة ٠٠ خروجاً من التيه والشرك ٠٠ إلى نور الهداية والمعرفة والبصيرة ٠

- النص الثانى: وجاء فى قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ (الزمر: ٣٩: ٥)

إن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض على أكمل صورة وأحبهما

وأردقهما، وأغشى الليل على النهار، والنهار على الليل، كل يتقفى الآخر يطلبه
حثيثاً ٠٠ !!

وسخر لنا الشمس بحرارتها، وضياؤها، والقمر بضياهه، وتجري الشمس
والارض والقمر لأجل زمانى يعلمه الله سبحانه وتعالى. وهو جل فى علاه كامل
القدرة له العزة جميعا عظيم المغفرة والرحمة وجاءت (ألا) فى النص لكمال
الاعتناء بالنص ولشدة الوقع بالتنبيه أنه هو الغالب على أمره الستار لذنوب
وعيوب الخلق فليخلص له العباد ولا يشركوا به أحداً.

- النص الثالث: وجاء فى قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر
نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل
الآيات لقوم يعلمون *﴾ إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات
والارض آيات لقوم يتقون﴾ (يونس: ١٠: ٦٤)

أي أن الله سبحانه وتعالى خلق الشمس بحرارتها وضوئها، وخلق القمر منيراً،
وجعل ظهوره بحسب منازل لتتبعين بهما (بالشمس والقمر) مواقيت الحياة. ولا
زالتا الشمس والقمر هما المرجعية فى التقويم، وهذا ما خلق وقدر إلا بالحق.
وهذا التفصيل فى الخلق يحتاج إلى علم وتعلم، ولا يكفى البيان والمعرفة. وأن
كل هذا الذى سبق من اختلاف فى الليل طولا والنهار تتابعاً وإدباراً ٠٠ آيات لمن
يؤمن بالله ويتقيه.

- النص الرابع: ورد فى قوله تعالى: ﴿خلق السموات والارض بالحق وصورك
فأحسن صوركم وإليه المصير﴾ (التغابن: ٦٤: ٤)

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والارض بالدقة والحكمة البالغة الضامنة
والمتضمنة لمصالح الدنيا، والدين، ولم يخلقهما لهواً ولا عبثاً وخلق الإنسان فى
أحسن هيئة لمخلوق على وجه الارض هيئة ومهابة له الخلق ومنه أسباب الحياة
والنعم وإليه المصير وليجزى كلا بعمله وإيمانه وتقواه.

- النص الخامس: ورد فى قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بقاء
رهبهم لكافرون﴾ (الروم: ٨٣)

وحكمة الورد ليعملوا عقولهم وفكرهم، فيثبتوا، ويعرفوا أن الله سبحانه
وتعالى ما خلق السموات والارض إلا بالحق، ولم يخلقهما عبثاً! ٠٠ وخلق لأجل
مسمى ٠٠ وإن كثيراً من الناس لينكرون البعث والحساب - لإثابة المحسن، ولعقوبة
المسيء.

- النص السادس: ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: ٣٩، ٤٠، ٤١) ما خلق الله سبحانه وتعالى الكون لعباً وعبثاً !! وما خلقه إلا بالحق ولكن أكثر الناس يجهلون ولا يعلمون لماذا الخلق ؟ ولماذا الاستخلاف ؟ ولماذا كل هذا النعيم ؟ وينكرون البعث والحساب !!

- النص السابع: ورد في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المؤمنون: ٤٤، ٤٥)

إن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض بالحق القويم لا لهوا ولا عبثاً وإن في خلقهما وإبداعهما صنعة ومظهراً - لعلامة ودلالة للموحدين المؤمنين به -
- النص الثامن: ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥)

تعرض الآية إلى قوة وعظمة الكون - السموات والأرض وما بينهما، وعن النشأة والخلق والتعمير، وعن التسخير والتدبير، ومآل كل من عليهما ومن فيهما .. - وعن يوم القيامة الآتية ولا ريب فيها فبين الحقيقتين بدء الخلق وقيام الساعة وهما أحق الحقيقة وإحقاق الحق فاصصب ولا تشغل بالك ونفسك بالحزن والغيط ودع الأمر لله سبحانه وتعالى.

- النص التاسع: ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مَعْرُضُونَ﴾ (الاحقاف: ٣٤، ٣٥)

يذكرنا الله سبحانه وتعالى بخلقه للسموات والأرض وما بينهما بالحق ولأجل مسمى محدود يعلمه هو. أما الذين كفروا بالبعث والحساب في الآخرة فهم معرضون ولا يتفكرون ولا يفكرون في هذا الموقف العصيب يوم الحشر العظيم.

- النص العاشر: ورد في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ عَمَّا يَشْرَكُونَ﴾ (النحل: ٣١)

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما فيهما، ومن عليهما، بالحق، يدبر شئونهما بالحق، يسيرهما بالحق، فلا شيء فيهما عبث، أو مغاير للحق والحقيقة الخالدة، لحكمة الصانع الخالق فتعالى الله عما يشركون.

- النص الحادي عشر: ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاشَأُ يَذْهَبَكُم وَيَأْتُ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٤، ١٥)

إن خلق السموات والأرض واضح وثابت ولا يتجاوز ولا تفاوت في خلقه وخلق مخلوقاته ولو أخذ هذا الإعجاز وحيداً لآمن من تبين ورأي وتعقل وحكم التفكير

والاستنتاج من الرؤية وإعمال البصيرة بعد البصر ولكنه العناد والتجبر والله سبحانه وتعالى قادر على استخلاف جنس غير هذا الجنس واستخلاف قوم غير القوم

- النص الثاني عشر: ورد في قوله تعالى: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق - ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (الجاثية: ٢٢: ٢٤) حقاً لقد خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بالحق، ليدلّل بذلك على قدرته ووحدانيته، ولكي يجزي كل إنسان بعمله، وبما اكتسب من خير أو من شر، فلا نقص في إثابة المحسن، ولا زيادة في عذاب المسيء... - وهم لا يظلمون. - ونوجز مجمل دلالة خلق الكون بالحق في الآتي:

١. أن خلق الكون تم بدقة وتصميم بالغ الدقة والتدبير والإبداع بعزة الله وقدرته وعلمه، وأن البعث شأنه في ذلك شأن الخلق حق واقع بحكمة وخبرة وقدرة الله سبحانه وتعالى، وخلق الماضي، وتدبير اليوم، وبعث الغد... - لا يعصي على الله جلت قدرته فحيثما تنعقد الإرادة يقول للشيء كن فيكون.

٢. أن تكوير الليل على النهار والنهار على الليل وتسخير الشمس والقمر لأجل مسمى موقوت بقيام الساعة والله العزة ومنه المغفرة.

٣. أن الله سخر الشمس والقمر لوظيفة حياتية للأرض وللإنسان وبجانب ذلك فهما يكون حساب الزمن والسنوات والشهور والأيام والأوقات.

٤. بمثل ما كان خلق السموات والأرض بالحق فإن خلق الإنسان بالحق تم في أبهى صورة إبداعية لمخلوق وإلى الله المصير.

٥. أن خلق السموات والأرض بالحق ومع ذلك فإن كثيراً من الناس ينكرون البعث ويكفرون به.

٦. أن خلق السموات والأرض بالحق ولكن أكثر الناس يجهلون الخلق والقدرة والعزة والبعث.

٧. أن خلق السموات والأرض بالحق، وفي ذلك آيات للمؤمنين.

٨. أن خلق الكون بالحق، وأن الساعة آتية، فالصفح مطلوب، والحساب قادم.

٩. أن خلق الكون بالحق، وأن الساعة آتية، ولكن الذين كفروا منكم ينكرون للبعث والحساب.

١٠. أن خلق السموات والأرض بالحق، والله متعال عن شركهم.

١١. أن خلق السموات والأرض بالحق، ولكنه العناد في الكفر من المشركين، وإذا شاء الله لأخذهم، وأحل محلهم قوماً آخرين.

١٢. أن خلق السموات والأرض بالحق، وأن حساب اليوم الآخر لكل قدر إحسانه أو قدر إساءته.

ويستفاد من هذا كله أن خلق الكون حق، وتسخيره للبشر حق، وخلق الإنسان حق، والبعث حق، والحساب حق، والله حق، فالحق أحق أن يتبع. وسيقت الدلالات الكونية قرآنية، كدلائل حسية، على عظمة وإبداع الخالق، ورهبة وهول يوم عظيم.

١٧. زمن خلق الكون !!

- سأل ولدي: وما زمن خلق هذا الكون الموهول الفسيح هذا؟!
- أجبت: يا ولدي! خلق الله السموات والأرض في ستة أيام. وأورد سبحانه وتعالى تلك المدة مجملة في ستة أيام في سبع نصوص (مواضع) قرآنية وأورد بعض تفصيلات المدة في مواضع أخرى. نعرض لها في حينه. والنصوص هي:
- النص الأول: وجاء في سورة الأعراف فيه ذكر الخلق، وزمنه واستتبع بالاستواء على العرش، وبإغشاء الليل والنهار بتسخير الشمس والقمر والنجوم، ويذكرنا سبحانه وتعالى بأنه اختص بالخلق والأمر، فيما هو متعلق بكل هذه الأمور. حيث قال جل شأنه:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ النَّجُومُ مَسْجُرَاتٍ بِأَمْرِ آلِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)

والأمر هو الشأن وجمعه أمور أو أوامر ومصدر أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾. ويقال للإبداع في الأمر: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ويختص به الله تعالى دون الخلائق وقد حمل على ذلك قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾. وعلى ذلك حمل العلماء قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. - أى من إبداعه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإشارة إلى إبداعه. وعبر عنه بأقصر اللفاظ وأدناها وأبلغها في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ فعبر عن سرعة إيجاده بأسرع ما يدركه الحس والشعور البشري.

وهنا والأمر متعلق بأن الخلق خلق الله، وبأمر من الله سبحانه وتعالى، والبحث

فى النصوص القرآنية أن زمن أمر الله، وهو الزمن الذى يقضى فى حركة رمش العين فى اتجاه واحد، إما تفتحاً، وإما غلقاً وتغميضاً، كما فى قوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ (القمر: ٥٠:٥١)، وبذات المدة الزمانية، يورد القرآن الكريم زمن أمر الله فى لمحة بصر واحدة، فى قصة عرش بلقيس، حيث قال تعالى: ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم﴾ (النمل: ٢٧:٢٨)، ناهيك أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز إن أمره قد يأتى ليلاً أو نهاراً ٠٠ أى فى برهة ٠٠ من الليل أو من النهار، حيث قال تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (يونس: ٢٤:١٠) وإذا كان الأمر أمر تصور وإحصاء وحساب فالسنة أيام عندنا هى بواقع ثوان عند الله تعالى: ﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ - وهو أمر تشبيهه ٠٠ فمع الله تعالى ينعدم الزمان - الأمر الذى يتفق وجلال القدرة والعزة الإلهية !!

- النص الثانى: وفيه ذكر الخلق، وزمنه ٠٠ محدداً بالسنة أيام، ورد الله على اليهود الادعاء بالتعب والإعياء، من مجهود الخلق الكونى ٠٠ فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (لغوب: إعياء وتعب، (ق: ٣٨:٥٠))

وهذه الآية جاءت رداً على كهنة التوراة من اليهود الذين زعموا أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، وأنه تعب فاستراح يوم السبت، واستلقى على ظهره فوق العرش ٠٠ فيكذبهم الله تعالى ٠٠ والمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض فى كثافتها وسعتها وما بينهما من المخلوقات البديعة فى ستة أيام (من أيام الدنيا) ٠٠ وما مسه من إعياء وتعب حاش لله ٠٠ والواقع والمنطق أننا لو تركنا الوحدات الزمانية على أرضنا وذهبنا إلى وحدات أكبر من ذلك لكان لدعوى اليهود حول تعب وإعياء الله سبحانه وتعالى ظل من حقيقة - هذه واحدة ٠٠ والثانية - أنه تعالى دحض قولهم وافقهم فى المدة الزمانية، والمدى الزمانى، ودحض ادعاءهم بما يدعون على الله كذباً من إعياء وتعب، وأضف أن الآية التى تلت الآية ٣٨ من سورة ق تقول: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ (ق: ٣٩:٥٠) أى بمعنى،

ونزه ربك عما لا يليق به، وصل واعبد، وقاتى الفجر والعصر.. ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ (ق:٥٠:٤٠) أى بمعنى، ومن الليل فتشهد وصل عقب الصلوات المفروضة.

ويرد عليهم فى موضع آخر فيقول تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير﴾ بمعنى، أنه لم يتعب، ولم يضعف بخلقهن.. حيث أنه قادر لا يعجزه شىء!! - النص الثالث: وينقلنا الله سبحانه وتعالى إلى التذكير بخلق الكون موضوعاً، وإلى مدة الخلق وهى ستة أيام، والاستواء على العرش، ديمومة تدبير أمر الكون، والشفاعة بالإذن الإلهى، والأمر بالعبادة حيث يقول تعالى:

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس:٣١)

- النص الرابع: فيذكرنا الله سبحانه وتعالى بأنه خلق السموات والأرض، وفى ستة أيام، ثم استوى على العرش، ويورد لنا مدى علمه الواسع الكامل الشامل كما يلج فى الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وكذلك دوام المعية الإلهية للعباد أينما كانوا، والعلم التام بما يعمل العباد فى قوله تعالى:

﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد:٥٧)

- النص الخامس: فيذكرنا بخلقه سبحانه للسموات والأرض، وما بينهما، وفى ستة أيام، ثم استوى على العرش، ويذكرنا بانفراده سبحانه وتعالى، بالولاية والشفاعة لنا جميعاً.. حيث يقول تعالى:

﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ (السجدة:٣٢)

- النص السادس: فيذكرنا بخلق السموات والأرض، وفى ستة أيام، وقبلها كان عرشه على الماء، وبين لنا الحكمة من الخلق لإبتلائنا، ليبين له أننا أحسن طاعة وعبادة، ويوضح لنا موقف الكافرين من البعث، وقولهم فيه بأنه السحر.. يقول تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين

كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴿هود:١١﴾

- النص السابع: ويصف ذاته بالرحمة ﴿الرحمن﴾ الذى خلق السموات والأرض، وما بينهما، فى ستة أيام، ثم استوى على العرش، فإن أردت أن تسأل فسل عنه خبيراً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ ٠٠ فيقول تعالى:

﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ (الفرقان ٥٩:٢٥)
- وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق منها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل﴾ ٠٠

حديث صحيح ٠٠ أنظر الحديث ٣٢٣٥ فى صحيح الجامع ٠٠ وسبقت الإشارة إليه!!
- بمعنى أن القرآن والسنّة يجمعان على أن الخلق الكونى تم فى ستة أيام من أيامنا ٠٠ أيام الأرض ٠٠ بعكس ما قد يذهب إليه البعض بأنها ستة مراحل ٠٠ كل مرحلة ألف سنة ٠٠؟

ويضاف أن خلق السموات والأرض ورد فى ستة أيام فى أربع آيات:

١ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف ٥٤:٧)

٢ ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدير الأمر مامن شفيق إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس ٣:١٠)

٣ ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد ٤:٥٧)

٤ ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود:١١)

- وخلق السموات والأرض ﴿وما بينهما﴾ فى ستة أيام ورد أيضا فى ثلاث آيات:

١. ﴿وَاللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ مَالِكٌ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وَّلٰى وَلَا شَفِيعٌ اَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ﴾ (السجدة ٤:٣٢)
٢. ﴿وَالَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان ٥٩:٢٥)
٣. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ وَمَا مَسْنَأْ مِنْ لُغُوبٍ﴾ لغوب: إعياء وتعب. (ق ٣٨:٥٠)
- وهذا الورد التضمينى يقطع بأن الرتق والفتق تم أيضاً وضمناً فى ستة أيام الخلق الأول !! إبان زمن النشأة الأولى !! والله أعلم !!

١٨- إبداع خلق الكون !!

- سألت ابنتى: ما معنى إبداع خلق الكون ؟!
- قلت: يا ابنتى ! معنى الإبداع هو الخلق من العدم !! وتأملى ما أورده جل فى علاه عن إبداع خلق السموات والأرض فى موضعين:
- الأول: فى قوله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَإِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة ١١٧:٢)
- الثانى: فى قوله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ أَنِّىْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٠٠)
- وتأمل ما رواه أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال:
- ﴿لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ، فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا، فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ! هَلْ فِى خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ! قَالَ: نَعَمْ، الْحَدِيدُ، قَالَتْ: يَا رَبِّ! هَلْ فِى خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ! قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ، قَالَتْ: يَا رَبِّ! هَلْ فِى خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ! قَالَ: نَعَمْ، الْمَاءُ، قَالَتْ: يَا رَبِّ! هَلْ فِى خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ! قَالَ: نَعَمْ، الرِّيحُ، قَالَتْ: يَا رَبِّ! هَلْ فِى خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ! قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ، يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ، فَيُخَفِّفُهَا عَنْ شِمَالِهِ!!
- الحديث رقم ٤٧٧٠ فى ضعيف الجامع .. مسند الامام أحمد والترمذى
- والله تعالى هو الذى خلق الكون، وهو الذى أبدع خلقه، وهو الذى خلق كل شىء وهو بكل شىء عليم، وهو الذى يقضى بالأمر بقوله كن فيكون حال ماتحل الإرادة بالخلق والتدبير !!
- وأحسب أننا لو بحثنا عن مدلولات خلق الكون وإبداعه من عدم، ولو دققنا

معانى قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ كأمر إلهى فى نصوص القرآن الكريم لكان أجدى وأنفع ! من مناقشة مراحل خلق الكون !! حيث أن هذا يدخلنا بالتضمنين فى أمور تتنافى وروح ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ والله تعالى أعلم !!

١٩- (يقول كن فيكون) .. الكينونة المنشئة !!

- سأل ولدى: وماذا تقصد بالتدقيق فى معانى ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ؟
- قلت: يا ولدى ! ﴿كُنْ﴾ فعل أمر ينزل على محل لاي أمر من الامور فيُظهره ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ بإذن الله .. وهذه هى الكينونة الكاشفة .. أما يا ولدى إذا نزل هذا الأمر ﴿كُنْ﴾ على غير محل ﴿فَيَكُونُ﴾ أيضاً ما أراد الله .. وهذه هى الكينونة المنشئة .. فلك الانشاء والكشف معاً .. وورد يا ولدى ! التعبير الإلهى ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بدون لفظ ﴿لَهُ﴾ مرة واحدة فى القرآن الكريم ..! وجاء ذلك الورد قرين خلق السموات والأرض، وهو خلق من عدم، بمعنى أن فعل الأمر ﴿كُنْ﴾ نزل على غير محل .. فيكون ما أراد الله !! .. وبلغه أهل التشريع .. والحال كذلك تكون كينونة منشئة للسموات والأرض، حيث لم تكن هناك سموات وأرض يوم خلقهما الله .. يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَیَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ٧٣)

٢٠- (يقول له كن فيكون) .. الكينونة الكاشفة !!

- يا ولدى ! يذكر الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى: (إن الله سبحانه وتعالى حين يريد أن يظهر لنا شيئاً يمارس مهنته فى الحياة .. فلنما يقول له كن فيكون .. فيخرج بكلمة كن من علم الله سبحانه وتعالى إلى كون الله فنعرفه .. وفى هذه الآيات لابد أن نلتفت إلى قوله تعالى ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ وما دام الحق سبحانه وتعالى يقول ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ فمعنى ذلك أن هذا الشيء موجود .. وإلا لما قال الله تعالى ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ لأن الخطاب هنا لشيء موجود فعلاً .. فهى فى الحالة الثانية كينونة كاشفة !! ..
وبإنزال شرح شيخنا على الآية ٧٣ من سورة الأنعام .. سابقة الذكر .. فالأمر يقطع بأن السموات والأرض خلقنا من عدم، حيث ورد قرين خلقهما تعبير ﴿يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ولم يرد فى العبارة لفظ ﴿لَهُ﴾ !! ..

- وبإحدى ! ورد التعبير القرآني ﴿يقول له كن فيكون﴾ في سبع مواضع (نصوص) في قول الله تعالى:

١. ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة: ١١٧)

٢. قوله تعالى: ﴿قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾

٣. قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩)

٤. قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (النمل: ٤٠)

٥. قوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (مريم: ٣٥)

٦. قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس: ٣٦)

٧. قوله تعالى: ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (غافر: ٦٨)

- ويستفاد من إحدى ! من جملة النصوص السابقة أن الكون خلق من عدم وفى ستة أيام من أيام الأرض .. أما أمر التدبير الكونى أياً كان الشأن ولأى أمر من الأمور فهو أمر كاشف .. كان خافياً علينا، معلوماً لله سبحانه وتعالى علام الغيوب !!

٢١. اليوم والألف سنة فى القرآن !؟

- عاد ولدى يسأل فى دهشة: ومن أين جاءوا بمراحل الخلق الكونى !؟

- أجبت: يا ولدى ! سلموا بالخلق فى ستة أيام .. وعادوا يفرضون سطحياً لبرودة الأرض على مراحل بعد الانفجار العظيم .. وفسروا ستة أيام الخلق الكونى بأنها ستة آلاف سنة !! بحسب أن اليوم عند الله بألف سنة .. وهذا تأويل خاطئ يا ولدى .. فمع المشيئة الإلهية تعطل السنن والظواهر كتار سيدنا إبراهيم مثلاً .. ولليوم والألف سنة دلالة على النسبية الزمانية للسرعات الكونية .. سرعة الجمادات المتحركة منسوبة إلى سرعة الضوء، وكذلك فإن لليوم والخمسين ألف سنة دلالة ثالثة لنسبة تكبير وتضعيف سرعة الملائكة مضاعفة متكررة بقيم خيالية لسرعة الضوء الجمادى، أو هى فى المقابل نسبة انكماش

زمانى لسرعات الملائكة والروح القدس، وهذا مانعرض له مع عرضنا للنظرية النسبية فى القرآن الكريم.. وتأمل قول الله تعالى:

﴿إِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج:٢٢:٤٧)

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة:٣٢:٥٠)

وهذه النسبية بين اليوم الإلهى والالف سنة مما نعد ونحصى أتاحت لعلماء النسبية ولعلماء الرياضيات العرب حساب سرعة الضوء بدقة متناهية .. وراجع يا ولدى ! البحث العلمى المنشور تحت مسمى - إعجاز حساب سرعة الضوء بالتقويم الشهري العربى .. للطبيب محمد دودح هيئة الإعجاز العلمى للقرآن بمكة .. منشور بكتاب الكون والإعجاز العلمى القرآنى .. دكتور منصور حسب النبى .. دار الفكر العربى ١٩٩٠م.

- وارجع يا ولدى ! لمعالجتنا للنظرية النسبية لألبرت أينشتين فى القرآن والسنة .. الباب الثانى .. ونخصص لها جلسة مذاكرة قادمة بإذن الله تعالى !!

- واليوم الإلهى المشار إليه فى النصوص القرآنية والمقرونة بخلق السموات والأرض يعادل ٣٦٥٢٥٠ يوما مما نعد ونحصى فى الأرض، وهذا يفيد ان يومنا يساوى (٣٦٥٢٥٠:١) من أيام المولى جل علاه، وهذا رقم لايمكن تصوره لأهل الجزيرة العربية !!

والذى يمكن حمله عليه هو تمثيل أو تشبيه الامر الإلهى كواحدة كلمح بالبصر .. وحينئذ نستطيع مجازاً أن نقول: اليوم الأرضى عبارة عن ٨٦٤٠٠ ثانية .. واليوم الأرضى عبارة عن جزء واحد (١) مقسوماً على (٣٦٥٢٥٠) جزء من يوم من أيام الله ..

وذلك للتصور والتبسيط .. ولا أكثر .. يا ولدى ! يمكن تجاوزاً حمل زمن لمح البصر على أنه خارج قسمة ٨٦٤٠٠ ثانية / لليوم الواحد تقسم على ٣٦٥٢٥٠ لليوم النسبى .. فينتج عن هذه العملية الحسابية البسيطة:

زمن لمح البصر يساوى ٢٣٧.٠ ثانية (أى أقل من ربع ثانية) !!

- ويا ولدى ! نعتقد أن هذا النص وهذه القيمة لايمكن أن تحمل أو تفسر إلا على أنها الزمن الذى يستغرق فى واحدة كلمح البصر، بحركة واحدة للعين إما فتحها أو إغلاقها .. والأقرب الفتح .. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ .. ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ .. والله أعلم !!

- ختاماً نعتقد أن خلق السموات والأرض وما بينهما شأنه شأن مخلوقات الله وشأن ان كل شىء إنما تم تنفيذاً لأمر الله ﴿كن فيكون﴾ ومصداقاً لقوله تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ولا يصح أن نحمل النص ﴿فى ستة أيام﴾ أكثر مما يحتمل، ونذهب إلى القول بأنها ستة آلاف سنة، وأن الخلق تم على مراحل ٠٠ ومثل هذا الزعم يتناقض وروح وجوه كُن فيكون ٠٠ ويفتح باب الشك فيما ينسبه اليهود من التعب والاعياء ٠٠ والله يدحض فريتهم فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق: ٣٨:٥٠)

وللتقريب للذهن ولا أكثر يا ولدى ! فإن لفظ ﴿كُن﴾ قد يستغرق نطقه منا زماناً فى حدود أقل من ربع الثانية سابق الإشارة إليه !! ٠٠

- والله سبحانه وتعالى يوضح لنا ولعقولنا المحدودة زمن أمره ٠٠ بزمّن واحدة من لمح البصر فى مرة ٠٠ ومرة أخرى بزمّن نطق لفظ ﴿كُن﴾ ٠٠ !! - ليقرب لنا زمن الأمر الإلهى تخيلاً وتبسيطاً ٠٠ !!

- وزهب سادتنا ٠٠ من السلف الصالح ٠٠ ومعهم الحق أن زمان ﴿كُن﴾ هو ما بين الكاف والنون ٠٠ أى زمان معدوم ٠٠ فالأجدر والأيقن أن يَقَرَّ فى أنهاننا ٠٠ فى عقولنا وقلوبنا ٠٠ أن خلق السموات والأرض إنما تم فى ستة أيام من أيام الدنيا ٠٠ كما حدثنا بهذا القرآن بنصه المباشر !!

- والمقطوع به يا ولدى ! أنه مع الذات الإلهية بنعدم الزمان متى إنعقدت الإرادة الإلهية لخلق، أو فعل، أو عمل أى شىء ٠٠ بالمشيئة ٠٠ ﴿كُن فيكون﴾ !!

٢٢. التسخير الكونى ؟!

خلق الله سبحانه وتعالى كل شىء ٠٠ الماء، والكون - السموات والأرض وما فيها وما بينهما من شىء، ليسخره لبنى آدم فى النهاية تسخيرًا عامًا، وذلك بحسب أننا خلائف الله فى الأرض، لنعبده، ونحمده، ونشكر له، على عظيم نعمه ولا تشرك بعبادته أحدًا، وكل نعم الأرض وزينتها ماجأت وما كانت إلا لإسعاد البشر، ويفوز بنعيم الدارين الأولى والآخرة أيّنا أحسن عملاً، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً﴾ ٠٠ وقوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

ويورد فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه كيف نتعامل مع القرآن الكريم: وهل كلمة سخر وردت لنتغنى بها؟! دون أن نُدرك أن الأشياء المُسَخَّرَة لنا يجب أن تُسَخَّرَها لأنفسنا ٠٠ وهذا هو الفكر الطبيعى للأمة الاسلامية ٠٠ بدل أن يُسَخَّرنا فى البر والبحر الاجانب ٠٠ عباد الله، الذين لادين لهم ؟؟!

ويورد القرآن الكريم آيات التسخير على نحو يتصل بتسخير مافى السموات وما فى الأرض جميعاً، وتسخير مافى الأرض، وتسخير البحر والفلك والانهار، والشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، وتسخير الجبال فى العديد من المواضع نوجزها فى التالي:

سخر الله سبحانه وتعالى الماء فى السماء، وفى بحار الأرض وأنهارها وتلوجها وسحبها، وكذلك الأزواق للناس أجمعين، وسخر لنا مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما، وأسبغ علينا من النعم الكثير، الظاهر منها والباطن، وللأسف هناك منا من يجادل فى كرم الخلق والرزق والأنعم والتسخير، بغير علم، ولا هدى، ولا دليل من كتاب منزل.

والتسخير الالهى للكون يقابله تكليف الانسان بالارتفاق والانتفاع ٠٠ وللأسف نحن نقابل هذا التسخير وذاك التكليف بالاعراض والاهمال ٠٠ باسبحان الله !!

= نعرض للتسخير الكونى فى سبع مواضع قرآنية !!

- ٠١ تسخير مافى السموات والأرض ٠٠ وجاء ذلك فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمَوَاتِ وَمَافِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمَنِ النَّاسُ مَنِ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (لقمان ٢٠:٣١) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (الجاثية ١٣:٤) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمَوَاتِ وَمَافِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمَنِ النَّاسُ مَنِ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾

- ٠٢ تسخير مافى الأرض جميعاً ٠٠ وذكرونا سبحانه وتعالى بتسخيره مافى الأرض جميعاً للناس ٠٠ يابساً وبحراً ٠٠ فنحن مكلفون دينياً بارتفاق كل سطح الأرض يابسها وبحارها وأنهارها وفلكها ٠٠ وينبها بأنه ممسك للسماء أن تقع علينا، وذلك من رأفته ورحمته ٠٠ حيث يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحج ٢٢:٦٥)

- ٠٣ تسخير البحار والانهار والفلك ٠٠ وذكرونا سبحانه وتعالى بخلق السموات والأرض، وانزاله جل علاه للماء من السماء، وإخراجه الثمرات والنباتات رزقاً للناس، وتسخيرها لنا الفلك لتجرى فى البحر، وكذلك تسخير الانهار، كما سخر لنا الشمس والقمر، وسخر لنا الليل والنهار ٠٠ حيث يقوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ

الثمرات رزقاً لكم وسخر الفلك لتجربى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴿إبراهيم:١٤، ٣٢، ٣٣﴾ - ٠٤ تسخير الزمان والشمس والقمر والنجوم ٠٠ يذكركم سبحانه وتعالى بتسخيره الزمن، والشمس، والقمر، والنجوم ٠٠ وهنا يتجلى تكليف الارتفاق والانتفاع ٠٠ بالزمن ك رأس لرأس المال، وبالشمس كمصدر للطاقة الحرارية والضوئية، وبالقمر وضوئه ودلالته كمؤشر للزمان والتواريخ، وكذا امكانياته التعدينية، وبالنجوم كأساس مرجعى للمسافات وللتقويم ٠٠ فى قوله تعالى:

﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل:١٦:١٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف:٧:٥٤) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تعلقوا بربكم توقنون﴾ (الرعد:١٣:٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير﴾ (لقمان:٣١:٢٩) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ (فاطره:٣:١٣) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ ٠٠ (الزمر:٣٩:٥)

- ٠٥ تسخير البحر ٠٠ ويذكركم سبحانه وتعالى فى موضع خامس بتسخير البحر، وما عليه من سفن، وما فيه من خيرات، استنهاضاً للناس وحفزاً على السعى لاستخراج مأكلتنا من نباتات وأسماء، وملبس، وخامات، من معادن وبترول وغير ذلك ٠٠ وهذا هو مفهوم التكليف بالابتغاء ٠٠ لعلنا فى النهاية نشكر له ونحمد على جزيل أنعمه ٠٠ حيث يقول تعالى:

﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجربى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية:٤:١٢) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (النمل:١٦:١٤)

٥٦. تسخير الجبال ٥٥ وفي شأن تسخير الجبال قال تعالى:

﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (الأنبياء ٢١: ٧٩)

وقوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ (ص ٣٨: ١٨)

- ٥٧. تسخير الرياح والسحاب ٥٥ وفي شأن تسخير الرياح والسحاب يقول تعالى:

﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة ٢: ١٦٤)

- ومناطق التكليف هنا الارتفاق بالرياح وبماء السحاب في شتى مناحي الحياة.

- ونخلص من الآيات السابقة أننا مطالبون بارتفاق واستغلال الغلاف الجوي وما في الأرض، وارتفاق واستغلال البحار والأنهار والفلك، وارتفاق واستغلال الأمثل للزمان، والشمس والقمر والنجوم، وارتفاق واستغلال الجبال، وارتفاق واستغلال الرياح والسحاب.

وبإختصار فما في الكون مُسخر كله للإنسان، وعليه وجب على البشر ارتفاق واستغلال الكون، فالإنسان مُكلف بإعمال العقل لفك ألغاز الكون، والانتفاع بما فيه، واستغلاله، الاستغلال الأمثل ٥٥. إعمالاً لقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ ٥٥ ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾

- ومن حيث تمام الترابط الكوني سبباً وغاية، وترابط المنظومات الكونية بعلاقات تأثيرية من تدبير الله تبارك وتعالى، على ذلك نعرض للتدبير الكوني في القرآن الكريم.

التدبير الكونى !!

ويقصد بالتدبير الكونى - إدارة الكون من ناحية خلق الحياة وتسييرها وبقائها الكون عامة، وفى كوكبنا الأرضى خاصة، ذلك من ناحية تسخير الكون للحياة لتسييرها وتسييرها - جماداً ونباتاً وحيواناً ملائكة وجناً وإنساء، ووضع ضوابط لبنى البشر بالرسالات والرسل للتبصير والإرشاد^{١١}، إستجلاءً لمعرفة حقيقة الخلق، والحياة، والموت، والبعث، والجزاء والعقاب - فى عالمى الغيب والشهادة.

وإدارة الحياة فى الكون يقصد بها تنسيق وابداع الكون كله، وتسخير الحياة^{١٢} ولا ينتظم تسخير الكون، ولا إدارته إلا بالوحدانية والصدقية لله سبحانه وتعالى، وبولايته المنفردة العامة سبحانه وتعالى، مصداقاً لقوله الكريم: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾^{١٣} وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (السجدة ٣٢: ٥)^{١٤} وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر لكم الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون﴾ (الرعد ١٣: ٢)^{١٥} وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ (يونس ١٠: ١٣)^{١٦} وقوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس ١٠: ٣١)

٢٢. من مظاهر التدبير الكونى !!

ومن أبرز ما يردده القرآن من مظاهر التدبير الكونى تمهيد الأرض وسبلها وجعلها صالحة للحياة^{١٧} وإلقاء الجبال بكل منافعها الإترانية بحيث لاتميد الأرض بمنافعها المنجمية ومواردها الطبيعية^{١٨} خلق الأزواج^{١٩} وخلق الزمن - زمن النوم، وزمن الكدح والابتغاء^{٢٠} وخلق السموات العلا حفظاً للأرض وللكون^{٢١} وخلق الشمس بطاقتها الهائلة^{٢٢} وأنزل ماء السحاب، وأخرج ماء الأرض^{٢٣} وأنبت النبات والحب والفاكهة^{٢٤} وخلق من صَنَعَ السيارات والسفن والغواصات

والطائرات - خلق الانسان من ماء مهين.. جاء ذلك كله في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ (النبا: ١٦-٧٨)

﴿وَأَيُّ لَهِم أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (يس: ٤١-٤٢)

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ، وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا، أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا، وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَامَخَاتٍ وَأَسْقِينَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا، وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات: ٢٧-٢٩)

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِوَاسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ (الأنبياء: ٣١-٣٢)

ومن آيات التدبير هذه يتجلى لنا أننا مكلفون بالآخذ بالسبل لدفع وتنشيط إرادة وإدارة الحياة.. حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة المجتمع وحياة البشرية جمعاء.. مكلفون بدفع وتنشيط فقه الحياة على الأرض.. !!

٢٤. لا إله إلا هو !!

- سأل ولدي: أتذكرنا بسؤال زعلب اليماني لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب !!
- يا ولدي ! ليس هذا محله.. ومع كل كان سؤاله لأمير المؤمنين: ﴿هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟؟﴾

- فرد عليه على كرم الله وجهه: أفأعبد مالا أرى ؟!

- فقال وكيف تراه ؟!

- قال: «لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين، متكلم لا بروية، مريد لا بهمة، صانع لا بحارحة، لطيف لا بوصف بالخفاء، كبير لا بوصف بالجفاء، بصير لا بوصف بالحاسة، رحيم لا بوصف بالبرقة، نعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته»..

- ٠٠ تعنو بمعنى تذلل، وتجب بمعنى خفق واضطرب.
- قلت ٠٠ يا ولدى ! عد إلى القرآن وتذكر صفات الله تعالى:
- ﴿هو الله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (الملك ٦٧:٢)
- ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾ (الحشر ٥٩:٢٢، ٢٣)
- ﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا﴾ (البقرة ٢٩:٢)
- ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقبلاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ (فاطره ٣٩:٣)
- ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (غافر ٦٨:٤٠)
- ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ (الأحزاب ٣٣:٤٣)
- ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة ٣٣:٩)
- ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ (الصف ٦١:٩)
- ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ (الشورى ٤٢:١٧)
- ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً﴾ (الطلاق ٦٥:١٢)
- ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء ٢١:٢٥)
- ﴿قلما آتاه نودى يا موسى، إني أنا ربك فاخضع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ (طه ١١:١٦)
- ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ (النمل ٢٧:٩)
- ﴿قلما آتاه نودى من شاطيء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ (القصص ٢٨:٣٠)

- ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت ٥١:٢٩)

نعم ! نعم ! وجب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تعبد وتحمّد وتشكر وتلتزم صراط ربنا المستقيم فى كل آن نفرغ فيه من أعمالنا وفى كل ركعة وكل صلاة وكل يوم وإلى نهاية الأجل !! تُرْتَلُ وَيُتَبَّهَلُ وَيَتَعَبَّدُ بِأَمِّ الْكِتَابِ:

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

وبقى الأهم .. نشهد بالوحدانية لله الواحد القهار .. نحمده عملاً وكذاً وكذاً وإبتغاءً .. نتأمل عظمة الدين الاسلامى فى التحديد الدقيق للمفهوم العام للعبادة، بحسب أنها منهج كلى للحياة، عمل بالمفهوم الحياتى الشامل، ووفاء بتعاليم الاسلام فى كليتها، بلا تجزئء، أو تعطيل، أو تبغيض!! نبرأ من نوازع الهوى والشهوات وحب المال والدنيا وتقديم ذلك على الآخرة دار البقاء .. حيث ورد قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَايَايَ فَارْهَبُونَ﴾ (النحل: ١٦: ٥١) .. ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَايَايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٢٩: ٥٦) .. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣: ٦)

- ومن كل ماسبق فإن القرآن الكريم يربط بجلاء بين الكون .. والايمان .. والعمل .. والعلم .. والحياة كلها .. !!

- فوحدة الموضوع متحققة بين القرآن، والكون، والعلم، والحياة كلها .. !!
وربنا تبارك وتعالى يضع الكون والحياة فى كفة .. ويضع القرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى كفة أخرى - وكلاهما يعادل الآخر .. ويفسر بعضه بعضاً !!
والتوازن بين الكون، والوحى - القرآن والسنة - يبقى ولآخر الزمان .. كلاهما مرآة للآخر .. ويفسر بعضه بعضاً !!

ويجمل أمير المؤمنين على ابن أبى طالب التوحيد الخالص فى إهدى قطبه فيقول نازهاً:

(ما وحّده من كَيْفَةٍ، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شَبْهه، ولا صمده من أشار إليه وتوَهَّمه. كلٌّ معروفٌ بنفسه مصنوع، وكلٌّ قائمٌ فى سواه معلول، فاعل بغير اضطراب آله، مقدّرٌ لا يجول فِكره، غنى لا باستفادة. لاتصحبه الأوقات، ولا ترفده

الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزاله.

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبمضاداته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقرنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبيهة، والجمود بالبلل، والحرور بالبرد. مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متباعاتها، مفرق بين متدانياتها. لا يشمل بحد، ولا يحسب ببعد، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير إلى نظائرها، منعتها (مُنذ) القدمية، وحمتها (قَد) الأزلية وجنبتها (لولا) التكملة. بها تجلى صانعها للعقول، وبها إمتنع عن نظر العيون.

لا يجرى عليه السكون والحركة وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟! إذا لتفاوتت ذاته واتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام! ولاتتمس التمام إذ لزمه النقصان! وإذا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسُلطان الإمتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره.

الذى لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأقول، ولم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جل عن إتخاذ الأبناء، وكهر عن عن ملامسة النساء، لاتناله الأوهام فتقدره، ولا تنهيهما الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الأيدي فتلمسه. لا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال، ولا تبليه الليالى والأيام، ولا يغيره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض. ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا إنقطاع ولا غاية. ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه أو أن شيئاً يحمله فيمليه أو يعدله. ليس فى الأشياء بوالج ولا عنها بخارج. يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وأدوات. يقول ولا يلفظ، فيحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمّر. يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويبغض من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه (كن) فيكون! لاصوت يقرع، ولا بندااء يسمع، وإنما كلامه - سبحانه - فعل منه أنشأه ومثله، لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

لا يقال: (كان) بعد أن لم يكن، فتجرى عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينها وبينه فصل، ولا له عليها فضل، فيستوى الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبدع والبديع. خلق الخلائق من غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها وضرب أسداها واستفاض عيونها، وخذ أوديتها فلم

يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه.

هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالى على كل شيء منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منه فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه.

خضعت الأشياء له، وذلت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفاء له فيكافيه، ولا نظير له فيساويه، هو المفنى لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها.

وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها، بأعجب من إنشائها واختراعها ! وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحلها وسائمها وأصناف أسنارها وأجناسها ومتلبدة أممها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجارها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاھت، وعجزت قواها وتناھت، ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها.

وإن الله - سبحانه - يعود بعد فناء الدنيا وحده لشيء معه !!! كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان. عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهار الذى إليه مصير جميع الأمور. بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع دام بقاؤها. لم يتكاده صنع شيء منها إذا صنعه، ولم يؤده منها خلق ما خلقه وبرأه، ولم يكونها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال أو نقصان، ولا للإستعانة بها على نذ مكاثري، ولا للإحتراز بها من ضد ماثوري، ولا للإزدياد بها فى ملكه، ولا لمكاثرة شريك فى شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها.

ثم هو يفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه فى تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة وأصلة إليه، ولا لتقل شيء منها عليه، لم يملله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنه - سبحانه - دبرها بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا إستعانة بشيء منها عليها، ولا لإنصراف من حال وحشة إلى حال إستئناس، ولا من حال جهل وعمى إلى حال علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عزٍ وقدرية. !!!

٢٥. من واحة الإيمان !!

يستفاد مما سبق أن الله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق، والقدرة المطلقة، والوجود المطلق، والعلم المطلق، والأمر والتدبير بحكمة وبصيرة مطلقة... هو الله خالق الأكوان ﴿إن كل شيء خلقناه بقدر﴾... خالق الموت والحياة... يحيى ويميت... مرسل الرسل... منزل الكتب السماوية... هادى العباد... له ملكوت كل شيء... وهو على كل شيء قدير... ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾.

آمنا بالله وبكتبه ورسله والملائكة... آمنا بأن الموت حق، والبعث حق... وآمنا بالقضاء والقدر حלוه ومره... كل من عند ربنا... إليه المرجع وإليه المصير...!!
له جل جلاله نشهد بالوحدانية... بالربوبية... ندعوه فى كل وقت وحين... بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾... سائلين الله الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين أن يهدنا ﴿الصراط المستقيم﴾... اللهم تقبل دعاءنا آمين...!!

والإنسان خليفة الله فى أرضه، خلق الله له كل شيء عليها وفيها، وسخر المخلوقات لخدمته، وسخر الكون لإسعاده وتمتعه... والإنسان مكلف بالارتفاق والانتفاع بكل مافى الكون... وستن الله فى الكون لاتغيير فيها ولا تبديل بتغيير الزمان والمكان ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ (فاطر)
فإن أحسن الإنسان الارتفاق والانتفاع بما سخره الله له فى الكون، وإن أحسن الطاعة، وأجاد العبادة، وأتقن العمل، وآمن، واتقى، والتزم بشرائع الله وأوامره كان له نعيم الحياتين الدنيا والآخرة، وإن عصى وتكبر كانت له نار جهنم خالداً فيها أبداً...!!

وبهذا فالإنسان هو محور قضايا الكون والحياة، لأن الحياة على الأرض، بدون الإنسان لا إعتبار لها...!!

ومن واقع ماسبق عرضه من خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو ماقد نتفق

ومن واقع ماسبق عرضه من خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو ما قد نتفق أن نطلق عليه الكون المادى، وهو ما عرضنا له من ناحية الخلق والتسخير الكونيين^{٥٥} للسموات والأرض وما بينهما، وللأرض وما عليها، وللشمس، وللنجوم، وللليل والنهار، وللبحار، ولللك، وللرياح، وللحباب لآبد من وقفة نحاول أن نفهم القصد الإلهى من الخلق والتسخير، نفكر، ونتأمل^{٥٦} فى أكوان الله^{٥٧} خلقاً وتسخييراً^{٥٨} وارتفاقاً^{٥٩} فنحن مطالبون أن نسترجع ونراجع!!

أين نحن من التكليف بالارتفاق والانتفاع بما فى الكون من موارد^{٦٠} وما فى القرآن الكريم من اشارات وعلوم وحكم^{٦١} وصراط مستقيم^{٦٢} فإله سبحانه تعالى مستخلف الإنسان فى الأرض، خلق له ما فى الأرض جميعاً، وسخر له كل ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما، وكلفه بالارتفاق بما خلق وسخر وجعل وأنزل وأرسل!!

والإنسان هو المستخلف فى الأرض، وهو الغاية من الحياة كلها فى الكون، ومعنى هذا أننا مكلفون بدراسة فقه الحياة^{٦٣} جنباً الى جنب^{٦٤} مع فقه العبادات والفروع، الأمر الذى ينقلنا إلى دراسة الخلق والتدبير الإلهى الحياتى الكونى من ناحيتين: الأولى الحياة الكونية فى القرآن^{٦٥}، والثانية حياة الإنسان فى القرآن^{٦٦} ونعرض لذلك فى دراستين متكاملتين:

- الدراسة الأولى:

المنظومة السماوية والحياة فى الكون والقرآن.

المنظومة الأرضية والحياة فى الكون والقرآن.

علوم الفضاء فى الكون والقرآن.

- الدراسة الثانية:

حياة الإنسان فى الكون والقرآن.